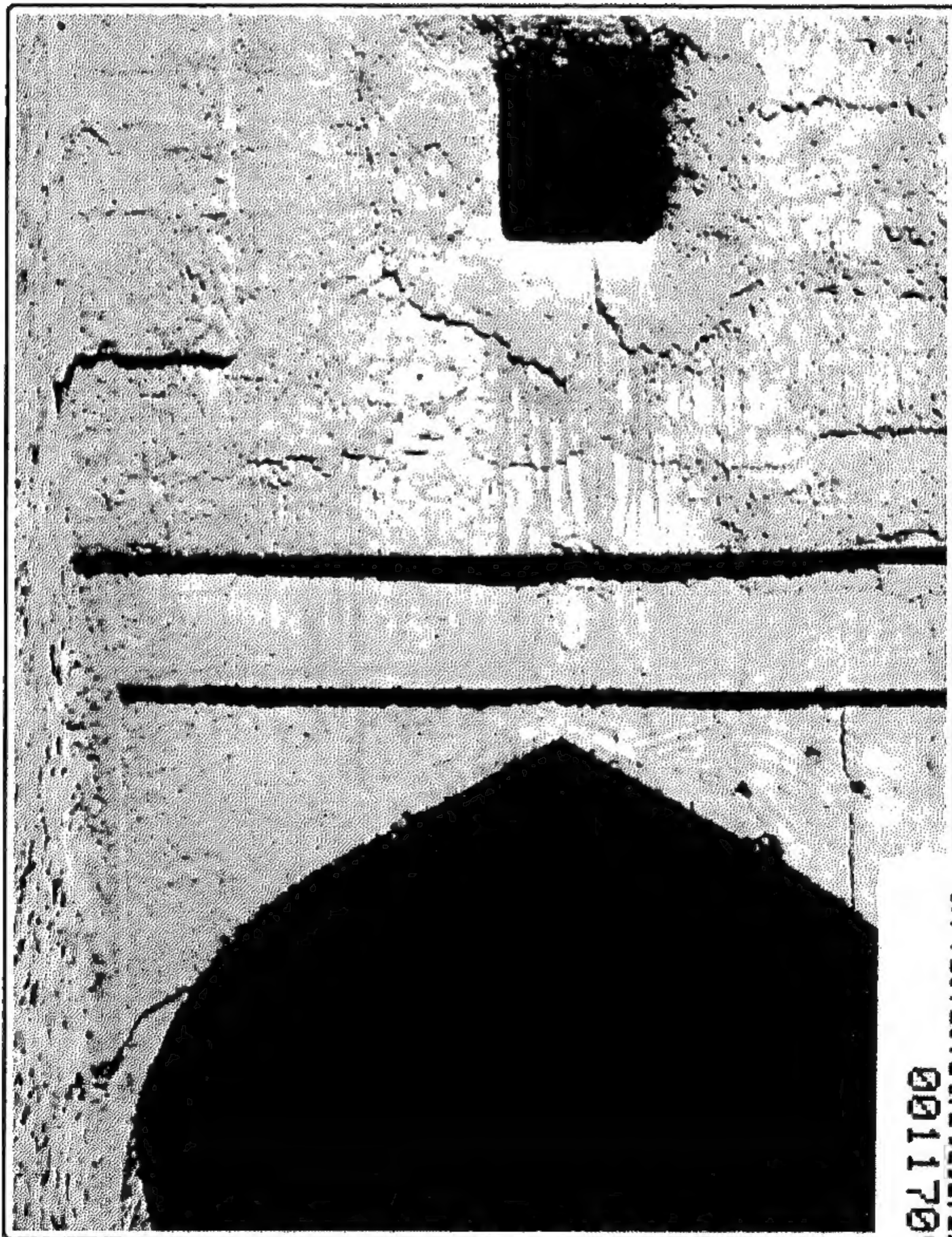


ميشيل تارديو

صابئة القرآن وصابئة حران



ترجمة: سلمان حرفوش



صَابِئَةُ الْقُرْآنِ وَصَابِئَةُ حِرَّانَ

* الطبعة الأولى 1999
* حقوق الترجمة محفوظة
* دار الحصاد للنشر والتوزيع
سورية - دمشق - برامكة
ها/فا: 2126326 ص. ب: 4490

* دار الكلمة للنشر والتوزيع
سورية - دمشق - برامكة
صندوق بريد : 2229

میشیل تاردیو

صابئة القرآن وصابئة حرّان

ترجمة: سلمان حرفوش

عنوان الدراسة باللغة الفرنسية

Sabiens Coraniques et Sabiens de Harran

Par

Michel TARDIEU

حرّان مدينة في منطقة الجزيرة في سوريا ، دخلت التاريخ منذ تأسيس مملكة " ميتاني " ⁽¹⁾ وخرجت منه بعد اثنين وثلاثين قرناً من الزمان ، حين سوّى بها المغول الأرض وهجّروا جميع سكانها إلى الموصل وماردين ⁽²⁾ ، ولها منزلتها الأثيرة في نظر المستشرقين: أولاً لأن أسوارها كانت مقرّ معبد الإله البابلي " سين " ⁽³⁾ ، - القمر - ، وهو المعبد الذي عرّج عليه زائر شهير في القرن الرابع الميلادي ، إذ هناك أدى الامبراطور جوليان صلواته الأخيرة قبل أن يسقط قتيلاً في حربه مع سابور الثاني ⁽⁴⁾ ، وثانياً لأن الكتاب العرب أفاضوا في تناول عقائد وشعائر سكانها ، فكان لها قصب السبق وظلّت على مدى الأيام مدينة الصابئة ⁽⁵⁾ . وانصبّت الجهود منذ قرن لتحديد موقف الحرانيين الإيديولوجي بأدقّ مما كانت تستطيعه المصادر القديمة ، ولكن هذه الجهود لم تتوصل إلى نتيجة واضحة . وذاك أن علماء الغرب تعثروا بعقبة أن اللغز الصابئي الحرّاني يخفي لغزاً ثانياً هو لغز الصابئة الذين ذكرهم القرآن في ثلاثة مواضع . وباءت بالفشل فرضية المقارنة ولم تستطع أن تفرض وجودها ، وهي فرضية قامت على استبدال اسم الجنس " صابئة " باسم " الغنوصيين " بالمعنى العريض للغنوصية .

إن البحوث المعاصرة أكفأ وأقدر من بحوث الأمس على إعادة فحص هذا الملف بعد أن تخلص من الخلط الغريب الذي نشرته بهذا الصدد الكتابات الإسلامية عن الملل والنحل . فمن جانب، تجددت معالجة المسألة الغنوصية باكتشاف ونشر المخطوطات القبطية المعروفة باسم " مخطوطات نجع حمّادي " ⁽⁶⁾ ، وهي كناية عن مجموعة نصوص تنطبق عليها صفة " الغنوصية " ⁽⁷⁾ بكل دقة . ومن جانب آخر ، فإن كثرة المطبوعات والبحوث المتصلة

بالأفلاطونية المتأخرة من شأنه إلقاء الضوء على تاريخ تأثيرات الكتابات الأفلاطونية ، الصحيح منها والمنحول ، وعلى تاريخ التعريفات التي راجت معها (8) .

ولا بدّ من اتخاذ جانب الحيطة في أمرين اثنين :

- أولهما تجنب كل خلط قد يكون من شأنه تفسير لغز ما بلغز آخر ، أو إضاءة جميع مساحات الضباب بفرضيات غير قابلة للتمحيص .

- وثانيهما الشك بكل مطابقة قوامها مقابلة تصورات ليس لها أي سياق أدبي ومذهبي محدد ، أو أنها لم تخضع لنقد كافٍ حينما تكون صادرة عن الخصوم .

بمثل هذه الحيطة المزدوجة يُسمح بإخراج المذهب الصابئي من الطريق الظاهراتي المسدود الذي حُشر فيه ، ليتم بذلك إعادته إلى أرضية التاريخ .

وبغية تحقيق هذا الهدف يلزم أول ما يلزم إجراء فحص نقدي للمواقف التي توصل إليها البحث المعاصر والتصويبات التي جاءت بها دراسة جان هيارب Jan Hjarpe منذ خمسة عشر عاماً ، وذلك هو الباب الأول في بحثنا الحالي . كما أن علينا من ثم القيام بتحليل مكثف لما أورده المسعودي إيجازاً عن هذا الموضوع ، وهذا ما سوف يتيح لنا بالتالي تحديد الموقف التاريخي للمذهب الصابئي الحراني الذي كان مؤلف " مروج الذهب " الشاهد الوحيد عليه بصورة مباشرة في الجزيرة ، وهذا هو الباب الثاني ؛ أما في الباب الثالث فمن المناسب أن نبين المصادر التاريخية السابقة للنقش الذي نقله المسعودي إلينا ؛ ومن بعد استبعاد كل مزلق الخلط مع المذهب الصابئي الحراني المزعوم ، فلا بد لنا في الباب الرابع والأخير من التعرف بدقة وبشكل نوعي على صابئة القرآن ، الذين نختم بحثنا بهم .

تفحص البحوث المعاصرة وتصويبات جان هيارب

البحث الذي قام به هيارب⁽⁹⁾ هو كناية عن إعادة فحص نقدي للمقولات الرئيسية في المؤلف الضخم الذي وضعه كولسن Chwolsohn حول الصابنة⁽¹⁰⁾ :

- (1) الصابنة الوارد ذكرهم في القرآن⁽¹¹⁾ هم المندائيون ؛
 - (2) الموجزات الواردة عن الصابنة الحرانيين في الكتابات الإسلامية عن الملل والنحل لها قيمة تاريخية ؛
 - (3) إنها تقدم وصفاً للمعتقدات المنتشرة فعلاً وللشعائر الممارسة فعلاً لدى مريدي عبادة النجوم الساكنين في ديار مصر ؛
 - (4) المذهب الصابني الحراني اكتسب طابعاً علمياً بدخول الممارسات الأفلاطونية في القرن الرابع الهجري (تحضير الآلهة) وباعتماد العلوم الباطنية (العلوم الخفية ، والسحر ، والخيمياء) .
- لقد أعاد هيارب فحص المواد المجمعة على يد كولسن والتي أغنتها كتابات جديدة لم تكن معروفة في أيام كولسن ، ومصدرها الطبري ، والمقدسي ، والبيروني ، وخاصة ابن الجوزي⁽¹²⁾ ، وتوصل بنتيجة ذلك إلى أربعة استنتاجات سوف أعرضها على التوازي والتعارض في وقت واحد مقابل تلخيصي السابق لمقولات كولسن :

* رأينا اعتماد كلمة " خيمياء " ترجمة لكلمة " alchimie " العربية المصدر أساساً ، وذلك تمييزاً عن " الكيمياء : la chimie " [المترجم]

(1) صابئة القرآن لا يمكن بحال أن يكونوا من المندائيين ؛
ومن طرف آخر ، فاستخدام القرآن لكلمة " صابىء " يترافق دوماً مع
كلمة " حنيف " وكلتاها بمعنى " غنوصي " بالمعنى العريض للكلمة ؛
(2) العدد الكبير من التفاصيل المصورة للعادات الدينية عند
صابئة حرّان كما أوردها مؤرخو الملل الإسلاميون هي محض
تخيلات أدبية موروثة من تأريخ الملل المسيحي المعادي للغنوصية،
ونقلها إلى المسلمين مقدمو المعلومات من المسيحيين ؛

(3) عبادة النجوم لا تؤلف السمة الأساسية للمذهب الصابئي
الحرّاني بالمعنى الدقيق المحدد ؛

(4) الأفلاطونية الحديثة التي نسبها تأريخ الملل الإسلامي إلى
صابئة حرّان محض وصف عار عن الصحة ، ومن اللازم إطلاقه
على زمرة أخرى من الصابئة لا يمكن دمجها مع الحرّانيين : وهؤلاء
هم صابئة بغداد .

المساهمة التي قدمها هيارب لا يمكن الاستهانة بها وذلك أنه
عرف كيف يستخلص من " كُبة " الأعراف العربية المتشابكة حول
الصابئة الخيوط المؤدية إلى قدامى المناظرين المسيحيين . فابن
الجوزي ، والدمشقي ، وابن النديم وكتاب " غاية الحكيم " - في القرن
الخامس الهجري - المعروف في الغرب تحت عنوان Picatrix
بفضل الترجمة اللاتينية في القرن الثالث عشر ، يوردون جميعاً ،
والحق يقال ، بأغنى التفاصيل المثيرة أن الصابئة الحرّانيين كانوا
يمارسون أثناء شعائريهم السرية المقدسة تناول اللحم البشري على
سبيل التقديس مع قتل طفل وممارسة الجنس جماعياً ، وأنهم كانوا قد
اعتمدوا الطقس الدموي المسمى طقس الرأس الناطق⁽¹³⁾ شعيرة
للعرافة .

وقالوا إن ذلك الطقس يقوم على تغطيس رجل أو فتى يافع ،
ويفضل الأبرص ، في الزيت حتى العنق ويترك فيه إلى أن ينفصل
اللحم عن الأعصاب ويبدأ بالتفسخ بتأثير العقاقير المضافة إلى الزيت .
وعندما يكتمل التفسخ وينتهي ، يؤخذ الرأس سليماً مع الشبكة العصبية
بأكملها ويستخدم آنذاك وسيط عرافة .

ويورد اثنان من الإخباريين المسلمين السابق ذكرهم أعلاه

مصادرهما بصدد طقس تناول اللحم البشري والرأس الناطق . فابن النديم يقول إنه استمد معلوماته من مسيحيين اثنين : أبو يوسف يشوع القطيعي وسعيد وهب بن ابراهيم . وابن الجوزي يستمدّها هو الآخر من مسيحي ، يحيى بن بشر النهاوندي . فلم يكن على هيارب والحال هذه إلا ملاحقة سلسلة المناظرين المسيحيين الناطقين بالسريانية وصولاً إلى الحلقة الأولى التي كانت نقطة البداية . فأما تهمة تناول اللحم البشري في قرابين سرية فمصدرها: الهرطقة السادسة والعشرون من كتاب Panarion لمؤلفه إيفان Epiphane⁽¹⁴⁾ ؛ وأما حكاية الرأس الناطق فمصدرها : التواريخ السريانية في القرن السادس ، وهي مناظرات لدحض المانويين قبلت دون أدنى تشكك ، أي حرفياً ، ما لم يكن في المصادر الإغريقية إلا ضرباً من الشعوذة غير المؤذية على يدي خيميائي مشعوذ⁽¹⁵⁾ .

لقد أجرى هيارب فحصاً نقدياً ما في ذلك أدنى شك لهذه الأعراف ، وفحصه ذاك يعتبر بحق ، في هذا المجال ، نقطة تحول . غير أن استنتاجاته المتعلقة بتحديد هوية صابئة القرآن ، وتحديد الخصوصية الإيديولوجية النوعية للمذهبين الصابئيين : الحرّاني والبغدادي ، لا تكتسب صفة الحسم في مجملها . فبيّن هيارب بصدد النقطة الأولى ، وعلى عكس رأي كولسن الذي أصبح من بعده حقيقة ثابتة في جميع المعاجم (بما فيها معاجم اللغة العربية) وحتى لدى ك . رودولف K. Rudolph⁽¹⁶⁾ نفسه ، بأن الصابئة الذين يتحدث عنهم القرآن ليسوا من المندائيين⁽¹⁷⁾ .

وكان كولسن قد دعم مقولته : " صابئة القرآن = المندائيون " بحجتين اثنتين . أولاهما أنه جعل اشتقاق الكلمة القرآنية : " صابئ " من الفعل السرياني : " صبا " ومعناه " غمس " ، " عمّد " : ومن هنا جاءت تسمية " المعمداني " التي أطلقت على المندائيين وغيرهم - Elchasaïtes - دون أي تمييز⁽¹⁸⁾ . وثانيتهما مستنداً خبر وارد في " الفهرست " يقول إن تسمية " صابئة " كان قد اقتبسها من الصابئة - المندائيين " الحقيقيين " في جنوب بابل وثنيو الشمال في مطلع القرن الثالث الهجري ، وهو اقتباس منحول اكتسب صفته الرسمية الشرعية أثناء زيارة الخليفة المأمون لحرّان في عام 215

للهجرة الموافق لعام 830 في التقويم الميلادي⁽¹⁹⁾ .

وقد ردّ هيارب على حجة كولسن الأولى مبيناً أن علماء " الحديث " و " التفسير " الأولين ، وهم من جيران المندائيين حيث كانوا يسكنون مثلهم في منطقة البصرة ، والكوفة ، وواسط ، ما كانوا مهتمين بتدوين التاريخ الديني السابق للإسلام . وإنما انحصر اهتمامهم بتطبيق " الشرع " تطبيقاً فورياً ومحسوساً⁽²⁰⁾ . كانوا يعيشون على تماس مع طائفة دينية لاهي يهودية لا ولا مسيحية أو مزدكية ، لكنهم لم يحددوا تحديداً دقيقاً - إذن كانوا قد حققوا خطوة تاريخية المنحى ، وهو ما قام به الفقهاء والموسوعيون اللاحقون وصولاً إلى كولسن - وإنما أطلقوا صفة قرآنية ، أصبحت خطأ بمثابة اسم جنس ، على جماعة بشرية محددة يعرفونها حق المعرفة وهي جماعة مندائيي المستنقعات العراقية الذين كانوا قد دونوا لتوهم ، غداة الفتح الإسلامي ، ما لديهم من " كتب مقدسة " ، ولكنهم من جانبهم ، ما كان اسمهم " صابئة " ، لا ولا " صبا " . ونتيجة لذلك فتفسير " صابئ " بالكلمة السريانية " صبا " يظل مجرد افتراض جاء به مستشرقون وليس له قيمة تاريخية . وهي فرضية لم ترد إطلاقاً لدى الكتاب المسلمين⁽²¹⁾ . ناهيك ، من الناحية الصوتية ، أن اللغة العربية لديها جذر " صبغ " المقابل للجذر السرياني " صبا " ⁽²²⁾ .

إذن " صابئي " لا تعني " المعمداني " ، وصابئة القرآن ليسوا مندائيين ، فما تعني كلمة " صابئ " ، ومن هم صابئة القرآن ؟ هنا ، يجرب هيارب شرح ما هو غامض بما هو أشد غموضاً ، بفتواه أن تحديد " صابئة " القرآن لا يمكن أن ينفصل بحال من الأحوال عن تحديد " الحنفاء " الوارد ذكرهم في القرآن⁽²³⁾ . ولكن هيارب ، مع ذلك ، لم يفترض التطابق كاملاً هكذا بكل بساطة بين الجماعتين ، كما كان قد اقترح سبرنجر - Sprenger -⁽²⁴⁾ . فقد ورد لدى هيارب : " هاتان الكلمتان " ، أي (صابئ) و (حنيف) ، " لهما تقريباً المعنى ذاته ، والمضمون ذاته : سوى أن الصابئي كانت تسمية تحمل معنى التنديد إذ تدل على غنوصي ، ولكنه غنوصي (ذمّي) وبالتالي لا ينتسب إلى الطائفة الإسلامية ، بينما (حنيف) كلمة يقصد بها الغنوصي الحق ، المسلم الذي كان ينتسب للدين الفطري

الخالص «(25) . ثم هاهو هيارب يضيف من بعد هذا : " الصابئة تسمية أطلقوها على كل دين ، وعلى كل التأملات الدينية والفلسفية ، مثلما وسم بها كل شخص ذي ميول غنوصية " .

واستناداً إلى منقول السير والتراجم التي استطاع فلهوزن Wellhausen استخراجها ، والتي أضاف إليها هيارب بعض الكتابات الموجزة⁽²⁶⁾ ، فأصحاب محمد الأوائل ، والرسول نفسه معهم ، أطلق عليهم خصومهم اسم " صابئة " ، وكان أولئك الخصوم من مشركي مكة . ولكنهم من جانبهم دفعوا عن أنفسهم تلك الصفة وأرادوا أن يقال عنهم " حنفاء " وأصبحت كلمة " حنيف " منذ ذلك الوقت مرادف " مسلم " ، أي " مؤمن " ، حسب القرآن . وهكذا ، وبالطريقة نفسها التي نسب الحرّانيون بها أنهم من " الصابئين " أعلنوا على حد سواء أنهم " حنفاء " . ويرى كولسن في التستر وراء التسميتين ضرباً من ضروب الخداع⁽²⁷⁾ . وأما هيارب فيزعم أن لا خداع في ذلك إطلاقاً ، لكنه لا يورد أية حجة دعماً لوجهة نظره⁽²⁸⁾ . هذه القضية برمتها قائمة على الإبهام واختلاط المصطلحات . فمن جانب أول ، كانت تسمية " حنفاء " ، التي طالب بها الحرّانيون ذوو اللغة العربية والسريانية ، تعني لهم " وثنيين " ، إذ أن الـ " حنبي " - بالسريانية - هم ورثة الوثنية القديمة ، " حنبوتا " ⁽²⁹⁾ . وذلك ما كانوا حقاً وصدقاً . على أن الخداع ، من طرفهم ، كان في استخدامهم للكلمة بمعناها الذي ساد في المجتمع الإسلامي ، حيث الحنيفية أصبحت منذ ورودها في القرآن تعني الدين التوحيدي الخالص ، دين الأصول الذي سار عليه سابقو إبراهيم وإبراهيم نفسه ، والذي عاد من ثم للظهور مع محمد . من المناسب بالتالي ، فيما يبدو لي ، التمييز بوضوح بين مشكلتين :

(1) التحديد السوسولوجي والمذهبي لـ " الصابئة " و " الحنفاء " الوارد ذكرهم في القرآن ، والعلاقة المتبادلة بين الفريقين ، وهو أمر لا نملك أي مصدر مباشر يطلعنا عليه ، كما أن العرف الإسلامي لم ينقل لنا عنه أي خبر تاريخي دقيق ؛

(2) الرجوع إلى هاتين التسميتين في القرن الثالث الهجري لأسباب محض سياسية من قبل جماعة دينية تعيش في شمال بلاد ما

بين النهرين ، جماعة الحرّانيين ، والذين كان من السهل عليهم المناورة وتقديم أنفسهم إلى المسلمين باعتبارهم خلفاء ابراهيم ، الحنيف الخالص ، نظراً لأنه كان من بعض مواطنيهم .

ومن جانب ثان ، فهناك اختلاط في استخدام هيارب لصفة " غنوصي " . فتراه يتحدث عن " الاتجاهات الغنوصية " ⁽³⁰⁾ ، وعن الغنوصية ، " بمعناها العريض " ⁽³¹⁾ ، وعن الصابئة والحنيفية ، وقد تمايزت الأولى عن الثانية بالتصور اللاجسماني لمفهوم الوحي والنبوة ⁽³²⁾ . ويتبنى هيارب في هذا الموضوع دون أي نقاش نقدي مقولة بدرسان Pedersen ⁽³³⁾ ، الذي كان يتحدث عن الغنوصية حيث لا يكون سوى فكرة تأليه المسيح ، والذي كان ابن عصر هيمنت عليه أفكار ريزنستين Reitzenstein . لكن ، في أيامنا هذه التي ازددنا فيها اطلاعاً على التوثيق المتعلق بالغنوصية والتي تجدد فيها جزئياً هذا التوثيق بمصادر مباشرة ، فمن الصعوبة بمكان ، في قناعاتي ، القبول بأن الصابئة والحنيفية يمكن أن تكونا التعبير العقلاني الخالص عن العقيدة الغنوصية باعتبار الغنوصية المبدأ الشمولي الموحد للمعرفة الدينية . ولو قبلنا بأن صابئة القرآن كانوا من الغنوصيين ، فلا يمكن أن يكون ذلك قطعاً بالمعنى الغامض الملقى كيفما اتفق كما هو وارد في دفاع هيارب عن أفكاره .

أما بصدد النتيجة ، الثالثة والرابعة ، اللتين توصل إليهما هيارب في تناوله لأولئك الذين أطلق الكتاب العرب عليهم صفة الصابئة الحرّانيين ، فيبين مؤلفنا بوضوح أن الكتابات الإسلامية عن الملل والنحل وضعت في خانة واحدة جماعتين متميزتين : الحرّانيين بحق ، وهم القاطنون في عاصمة ديار مضر ، والحرّانيين المنشقين ، " المارقين " ⁽³⁴⁾ ، الذين أسسوا مدرسة في بغداد ، من القرن الثالث حتى القرن السادس للهجرة ، وكان المؤسس التاريخي لها ثابت بن قرّة ، فإلى هؤلاء انتماء الحرّانيين الذين يستشهد بهم الكتاب العرب . ⁽³⁵⁾

وما يزال سبب الانشقاق البغدادي مجهولاً . وقد تقدم كولسن ⁽³⁶⁾ بفرضية مفادها أن المروق البغدادي كان ذا طابع مذهبي وكان مرتبطاً بتبني الأفلاطونية الحديثة . غير أن هيارب يرى ⁽³⁷⁾

أنه ذو طابع طقوسي ، وأنه على ارتباط بمعارضة العبادة قيد الممارسة في معابد حرّان . والفرضيتان كلتاهما لا يمكن دعمها بأي مستند . على أي حال ، فهناك ، حسب هيارب ، اتجاهان متعارضان: فمن جهة ، الحرّانيون بالمعنى الدقيق ، وهؤلاء هم على ما يفترض " المحافظون " ⁽³⁸⁾ المتمسكون بالدين التقليدي في حرّان ، ومن جهة أخرى " العلماء " ⁽³⁹⁾ البغداديون ، والأطباء ، والفلاسفة ، ومحضرو الآلهة ، والفلكيون ، والخيميائيون ، الخ ... ورثة المذهب الصابئي الحرائي ، لكنهم في موقف حوار مع المسلمين .

وقد أثبت هيارب ، من طرف ، أن كتابات ابن الجوزي ، والشهرستاني ، والدمشقي ، وهم أكثر من أفاض في عرض التجيم الحرّاني ، كانت مستقاة من مصادر مارقة ، بغدادية ومسيحية (النهاوندي) ، وقد رتبت وسبكت لتبرهن أن الدين الحرّاني برمّته يتلخص بعبادة آلهة الكواكب ⁽⁴⁰⁾ ، ويّين من طرف ثان أن الأفكار الفلسفية المنسوبة إلى هؤلاء الحرّانيين بصدد اللاهوت السلبي ، وأزلية العالم ، ومفهوم المادة ، ووساطة النجوم ، وروح العالم ، كانت قد نقلت إليهم تحت راية أرسطو ، أي أنها كانت تحت هيمنة أفكار " لاهوت أرسطو " - أو " علم الإلهيات " لأرسطو - وبتأثير اثنين من الأفلوطينيين الحديثين : جمبليك وبروكلس ⁽⁴¹⁾ . وفي نهاية المطاف ، فإن تحليل ما كتبه ابن النديم عن تلك العقائد ، وتحديد قول للكندي نقله تلميذه السرخسي ⁽⁴²⁾ ، قد يكون فيه ما يثبت بأن العقائد المعنوية لا يمكن أن تعود إلى ما هو أبعد من العالم الحرّاني مؤسس مدرسة بغداد ، ألا وهو ثابت بن قرة ⁽⁴³⁾ .

وإذا كان من الصعب المجادلة في تحليلات هيارب بخصوص النقطتين الأولىين ، فإن وجهة نظره بصدد الخصومة بين الاتجاه الحرّاني المحافظ وبين الأفلاطونية البغدادية الحديثة تظل ، بالمقابل ، أكثر تعرضاً للجدل والمناقشة . فالأفلاطونية ، أو ، إذا ما فضلنا ذلك ، لنقل الأفلاطونية الحديثة ، لم تنشأ في بغداد هكذا " من العدم " على يدي ثابت بن قرة . فهو نفسه كان تحت تأثير التعليم الذي كان قد تلقاه في حرّان . ناهيك أن الاستخدام الفضفاض وغير المحدد من قبل هيارب لكلمة " غنوصي " في سعيه للتعريف بصائبة القرآن

يُستعاد بصورة مغيظة بصدد الحرّانيين . فهي هو يتحدث عن " الغنوصية الباطنية " لدى هؤلاء العلماء وعن " لاهوتهم الغنوصي - الأفلاطوني الحديث " (44) . والأشخاص ذاتهم يلصق بهم أنهم ينتسبون إلى " لاهوت باطني " (45) . ألا فإن مثل هذه التسميات الاصطلاحية التي يختلط فيها كل شيء بكل شيء لا يمكن القبول بها بحال من الأحوال . لكننا رغم الانتقادات التي يجب علينا توجيهها لما قام به هيارب من إعادة فحص نقدي منهجي لمقولات كولسن لا نستطيع إلا أن نقرّ بأنها تشكل مساهمة بالغة الأهمية في تاريخ الأفكار . وقبل أن نعود مجدداً إلى حالة صابئة القرآن دعونا نقدم في موضوع النقاش حول صابئة حرّان المزعومين بعض العناصر التاريخية الجديدة التي سوف تسمح لنا أن نحدد هويتهم .

المسعودي الشاهد المباشر الوحيد على الموقف التاريخي للمذهب الصابئي الحرائي

لاغنى عن جلاء الأعراف المتناقلة عندما تكون نقطة الانطلاق واقعة تاريخية ما . فالمعبد الوثني الأخير في حرّان دُمّر في القرن الخامس للهجرة حين خضعت المدينة لسلطة سلالة النميريين من البدو الرحّل ⁽⁴⁶⁾ . ولا يوجد فعلياً أي شاهد ، اعتباراً من ذلك التاريخ ، فيه ما يثبت وجود نشاط وثني في حرّان . على أن مجمل الكتابات العربية تقريباً بخصوص الصابئة الحرائيين دونت لاحقاً : عبد الجبار ، البيروني ، ابن حزم ، ابن الجوزي ، الشهرستاني ، ميمون ، ابن القفطي ، الدمشقي . ولم يزر أي من هؤلاء الكتاب حرّان ومنطقتها . ومعلوماتهم مصدرها خصوم الحرائيين ، من مسيحيين ومسلمين ، يسقطون على الواقع المائل تخريجات مذهبية . ونتيجة لذلك من الممكن استبعاد جميع هذه الكتابات .

يظل لدينا الكتاب السابقون : الطبري ، المسعودي ، المقدسي ، ابن النديم ، الخوارزمي ، وهم من أبناء القرن الرابع الهجري . وكانوا يعيشون في زمن كانت الوثنية الحرائية ما تزال فيه على أشد حيويتها . ونعلم في واقع الحال ، أن الخليفة عبد الكريم (= الطائع) في نهاية ذلك القرن يؤكد في رسالة مكتوبة موجهة إلى " صابئة " حرّان ، والرقّة ، وديار مضر على حقهم في العبادة والتعليم ⁽⁴⁷⁾ . من الممكن إذن لأي مراقب حينذاك معاينة حال " صابئية " حرّان على أرض الواقع . فماذا بشأن الكتاب الخمسة الذين ذكرناهم ؟ ثلاثة منهم : الطبري ، والمقدسي ، والخوارزمي ، يكتفون بنقل ما روي لهم . أما ابن النديم فيورد أخباراً كثيفة لكنها

متفاوتة المستوى : وهناك فقرتان طويلتان مما أورده مستقاهما من مناظرين مسيحيين ، وهما حشد متراكم من التلفيقات ؛ وأما الفقرة التي يفتتح بها ابن النديم هذا البحث فتستحق اهتماماً أكبر حيث أنها استشهدت للكندي نقله عنه السرخسي الذي كان يتكاتب مع ثابت بن قرّة⁽⁴⁸⁾ . ومع أن هذا القول المنقول لا يأخذ صفة إعادة صياغة مثالية للعقيدة وشعائرها فهو لا يقدم لنا أي تحديد زمني دقيق .

فلا يبقى بين أيدينا إلا المسعودي ، الوحيد بين هؤلاء الكتاب الذي ذهب شخصياً إلى حرّان . ولم يكن تحرّيه بعيد الغوص هناك ولكنه يتضمن مع هذا بندا رئيسياً لم يتنبه إليه النقد القديم والحديث . وتستحق هذه الشهادة العيانة جدارة خاصة ولا بد أن تتيح القيام بتقدير تاريخي محدد الدلالة لما تتضمنه بالضبط عبارة " المذهب الصابئي الحرّاني " . إن المسعودي يتحدث عن زيارته لحرّان في كتابه : " مروج الذهب ومعادن الجوهر " الذي أتم تأليفه في عام 335 هـ . / 946 م ، قبل وفاته بعشر سنوات . وما هو النص الذي أورده المسعودي ، كما هو مدوّن في طبعة باربي دومينار Barbier de Meynard⁽⁴⁹⁾ ، بترجمة شارل بلا Charles Pellat⁽⁵⁰⁾ :

" ورأيت على باب مجمع الصابية بمدينة حرّان مكتوباً على مدقة الباب قولاً لأفلاطون أفهمني تفسيره مالك بن عقّون وغيره منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال أفلاطون الإنسان نبات سماوي والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها إلى السماء وفروعها إلى الأرض " .

ولم يتحرّ أحد من الثلاثة كولسن⁽⁵¹⁾ ، وباربي ، وبلا أصل هذين القولين لدى أفلاطون . أما القول الثاني⁽⁵²⁾ فمصدره كتاب " المثل " أو Timée - (90A7-B2) ؛ ويظهر في سياقه لدى المسعودي وكأنه استذكار قراءات رفيعة المستوى لدى المؤلف ولم ينقله إليه محدثوه الحرّانيون . وأما القول الأول⁽⁵³⁾ ، فهو وضوحاً تذكير بما جاء في كتاب السيبياذ Alcibiade - (133 C.) . وكان باربي دو مينار ، متابعاً في ذلك ما جاء به كولسن ، قد ترجم ذلك القول كما يلي : " إنما يخشى الله من يعرفه " ⁽⁵⁴⁾ ، حتى قام بلا ، عن دراية وروية ، بتصحيح ترجمة سلفه . ويذكر كولسن في

ملاحظاته في ملحق الجزء الثاني من كتابه التصحيح الذي كان قد نقله إليه فليشر Fleischer بصدد هذه النقطة بالذات ، وهو :

Wer sein eignes wesen (sich,selbst) erkennt, wird gottlich, gottähnlich ⁽⁵⁵⁾

على أن التصحيح لم يقرأه أي من باربيي دومينار أو بلا !
وقبل أن نعيد فحص هذه الفقرة من " مروج الذهب " لمزيد من توضيح مفرداتها والتعرف على مداها الأكمل ، من المهم الإشارة إلى أن المسعودي رجع صراحة إلى هذه الحكمة التي ترجموها له وشرحوها في حرّان ، وكان رجوعه هذا في كتاب آخر من تأليفه .
فها هو في " كتاب التنبيه والإشراف " الذي كتبه قبيل وفاته بفترة وجيزة (345 هـ / 956 م) والذي هو بمثابة " مراجعات واستدراكات " ، يشير إلى ذلك المبدأ بالتعبير التالي : ⁽⁵⁶⁾
" وما يذهبون إليه من قول افلاطون أن من عرف نفسه حقيقة تأله ومن قول صاحب المنطق من عرف نفسه فقد عرف بها كل شيء " .

وهذه السطور باللغة العربية لا تستهل بجملة تمهيدية أساسية .
إنما هي قسم من تعداد طويل ، تمهيدية قول : " وذكرنا .. " ⁽⁵⁷⁾ ،
وفي هذا التعداد يستعرض المؤلف مختلف المواد التي عالجها بالبحث في اثنين من مؤلفاته السابقة ، أحدهما بعنوان : " كتاب المقالات في أصول الديانات " والآخر عنوانه : " خزائن الدين وسر العالمين " ⁽⁵⁸⁾ .
على هذا ، ومع أخذ الاستشهاد الوارد في " مروج الذهب " بعين الاعتبار ، يكون المسعودي قد تحدث عن المبدأ الأفلاطوني لـ " السيباد " في أربعة من تأليفه على أقل تقدير . وما رجوعه المتكرر هذا إليه إلا لأنه قد فهم حق الفهم أن ذلك المبدأ كان أساسياً لدى محدّثيه الحرّانيين وأنه يتضمن في حد ذاته تلخيصاً لجميع فلسفتهم .

واستناداً إلى الموجز الوارد في " التنبيه " عن " المقالات " و " الخزائن " يتجلى أن سياق إيراد قول أفلاطون في الكتابين كان بصدد استعراض حقيقة " الصابئة الروم " ⁽⁵⁹⁾ . والأفكار التي ينسبها المؤلف إليهم تدل على أن تلك التسمية ، وضمنها تسمية " الصابئة الحرّانيين " ، يجب أن تؤخذ ها هنا بمعناها الفلسفي الضيق إشارة إلى

"الأفلاطونيين" . ولا يكتفي المؤلف بذكر اسم بورفير Porphyre في هذا المجال ⁽⁶⁰⁾ ، بل يزيد فيورد اسم المتكاتب معه " رجل الدين المصري ، أنابو " ⁽⁶¹⁾ . وقد دونت الخلافات العقائدية بين بورفير وأنابو ، كما يذكر المسعودي ، " في رسائل يعرفها كل من يهتم بعلوم الأقدمين " ⁽⁶²⁾ .

تري ، فما القناسة التي أوصلت مضمون " رسالة إلى أنيبون " * ليس إلى المسعودي نفسه وإنما إلى مصدره ؟ والتعارض بين هذا البورفير " الذي كان مسيحياً (كذا !!) لكنه يدافع سرّاً عن معتقدات الصابئة الروم أي الأفلاطونيين ⁽⁶³⁾ ، وبين أنابو ، الوثني الخالص والمتصلب ، والذي ظل متمسكاً " بعقائد الفلاسفة الأقدمين " ⁽⁶⁴⁾ ، يمكن أن نستوحي منه أن بورفير " رسالة إلى أنيبون " عرفه مصدر المسعودي عن طريق الكتابات المناصرة للمسيحية ⁽⁶⁵⁾ . وفي السياق المباشر الذي ورد ضمنه القول الأفلاطوني في كتاب " التنبيه " نجد استشهاداً ثانياً ينسبه المسعودي إلى "صاحب المنطق" ⁽⁶⁶⁾ . وهذه الصيغة كناية ، كما هي الحال غالباً لدى الكتاب العرب ، ليس عن أرسطو نفسه ، وإنما عن أحد شراحه الاسكندرانيين . والحقيقة فالقول بأن " من عرف نفسه عرف بها كل شيء " وهو ما قدم المسعودي به لنصّه باللغة العربية ⁽⁶⁷⁾ ، هو من الأفلاطونية الحديثة . ونجده حرفياً لدى اثنين من الاسكندرانيين : هرمياس Hermias ، وأولمبيودور Olympiodore . أما هرمياس فيقول في " In Phaedrum " :

" ε'αυτ'ον γνο'νς τ'α πα'ντα οιδεν'ό " ⁽⁶⁸⁾ .

ويقول أولمبيودور في " Alcibiadem " :

" ειδ'ως ε'αντο'ν τ'α οντα πα'ντα οιδεν'ό " ⁽⁶⁹⁾ ،

والقولان كلاهما مترادفان مع شعار " دلف " . وهكذا فإن دمجهما في " التنبيه " يعود بنا في خط مستقيم إلى التأويلات التقليدية للـ : " γ νωθτ οαντο'ν " على أيدي الأفلاطونيين الحديثين في شرحهم لكتاب أفلاطون " السيبياذ " ⁽⁷⁰⁾ . و " صابئة حرّان " الذين شرحوا

* من تأليف بورفير ، و " أنيبون " هو تحريف " أنابو " . (المترجم) .

للمسعودي الكتابة السريانية المنقوشة على مدقة الباب الخارجي والذين كانوا يعتبرون أنفسهم من " الصابئة الروم " ليسوا بالتالي إلا " أفلاطونيين " بالمعنى الدقيق للكلمة .

وحسب الشهادة المباشرة الواردة في " مروج الذهب " ، فالمكان الذي كانت مدقة مدخله تحمل بالنقش السرياني القول - المحوري في الجزء الأول من " السيبياذ " كان يقال عنه باللغة العربية : " مجمع " ⁽⁷¹⁾ ، وترجمها بلا ب " مكان اجتماع " ⁽⁷²⁾ ، وهذا هو المعنى الحرفي للكلمة . أما باريبي دومينار فكان قد ترجمها بـ " معبد " ⁽⁷³⁾ ، متأثراً دون شك بكولسن الذي كان قد قال عنها إنها : " Bethaus " ⁽⁷⁴⁾ ، وكان كولسن قد اندفع إلى هذه الترجمة دون سواها ⁽⁷⁵⁾ ، لأن ابن النديم في حديثه عن أعياد الصابئة أورد أيضاً ما أطلق عليه اسم " مجمع " ، وكانت تقدم فيه في 3/ أيلول وجبة دينية عقب الانتهاء من العيد : " في ذلك اليوم ، كانوا يضحون بثمانية حملان ذكور ، سبعة منها للآلهة وواحد للرب [شمال] ، ثم يأكلون في مجتمعهم ، ويشرب كل منهم سبعة أكواب من الخمر " ⁽⁷⁶⁾ . وبالنسبة للعالم الروسي ، قال " مجمع " الذي كانوا يأكلون فيه لحم الأضاحي المقدسة ، والذي كان بابه الخارجي يحمل نقشاً يذكر بنقش معبد " دلف " ، ما كان له أن يكون إلا : " Versammlungsort Zu religiösen Zwecken " ⁽⁷⁷⁾ . وبالتالي فإن " مجمع " هي مرادف " هيكل " أي " معبد " .

ألا فلا أبعد من هذا التفسير عن الثقة . فمن طرف ، خلط كولسن في هذه القضية بين مصدرين مختلفين : مصدر ابن النديم من المناظرين المسيحيين المعادين للصابئة ، أبو سعيد وهب بن إبراهيم ، ومصدر المسعودي الذي يورد ما شاهد وما سمع . ومن طرف ثان ، فلا يوجد أي شيء يسمح لنا أن نقول إن " المجمع " الذي تقدم فيه مأدبة مقدسة لعيد أيلول الصابئي المقدس هو نفسه " المجمع " الذي كان على بابه ذلك النقش . ونحن على الأرجح الغالب حيال مكانين مختلفين يتردد عليهما أشخاص مختلفون . وإنه لاستنتاج متعجل دون أية روية أن نفترض ، بحجة أن النقش السرياني يمكن أن يعتبر عقائدياً بمثابة رجع صدى لشعار دلف - وهو كذلك فعلاً وفق العرف

الأفلاطوني - ، بأن المكان الذي كتب على بابه هو مكان عبادة .
 إن " مجمع " المسعودي الذي تحمل مدقة بابه الخارجي قولاً
 أفلاطونياً مأثوراً ليس سوى المكان الذي كان يجتمع فيه فلاسفة
 حرّان . وشهادة " مروج الذهب " حاسمة حول هذه النقطة .
 فالمسعودي يصنّف الحرّانيين في جماعتين : جماعة الفلاسفة
 " الحشويين " (78) ، أي " من الطبقة الدنيا والعوام " وهؤلاء هم أتباع
 الديانة الوثنية لحرّان ، وجماعة " الحكماء " (79) بالمعنى الدقيق ،
 وهؤلاء هم ورثة فلاسفة الروم . ويوضح المؤلف : " ونقول عنهم
 حكماء فلا نعني بذلك الحكمة لا غير وإنما المصدر الذي صدروا عنه
 لأنهم روم " (80) . وكما يضرب مثلاً على المستوى الرفيع له " حكماء
 الروم " في حرّان ، يورد المسعودي آنذاك (81) ما قرأه على باب
 " مجمعهم " ، وينطلق مباشرة ، على سبيل استخلاص النتيجة
 النهائية (82) ، في عرض تخصصي للفلسفة اليونانية . ضمن مثل هذا
 السياق لا يمكن لكلمة " مجمع " أن تدل إلا على مكان مخصّص
 لاجتماع رجال فكر .

ويميّز المسعودي تمييزاً كاملاً أمكنة العبادة أو " معابد "
 الديانة الشعبية عن " المجمع " الذي يجتمع فيه " الحكماء الروم " .
 وأما بصدد المعابد فيعترف أنه حين أجرى مراجعة " مروج الذهب "،
 أي في 336 هـ / 947 م ، لم يكن يوجد سوى معبد وحيد ، " وهو
 معبد يسمونه " ميلطية " (83) ، وموقعه داخل مدينة حرّان ، قرب باب
 الرقة " (84) . وأما المركز الثاني للوثنية الحرّانية الذي كان ما يزال
 قيد العمل فهو مقر " الصابئة الروم " أي الأفلاطونيين ، ويكون معنى
 " مجمع " في هذا المجال هو " أكاديمية " . والمكان الذي طلب
 المسعودي أن يشرحوا له النقش السرياني الذي كان يزيّن مدقة بابه لم
 يكن إلا أكاديمية حرّان الأفلاطونية . وأولئك الذين رافقوا المسعودي
 أثناء قيامه بزيارته كانوا أعضاء تلك الأكاديمية ، أما مالك بن عقبة
 الوارد ذكره كمتّرجم ذلك النقش فهو حسب كل الظواهر رئيس
 الأكاديمية . ويذكر المسعودي فيما يذكر (85) أنه استوضحه عن بعض
 المسائل التخصصية والتاريخية بصدد الفلسفة اليونانية . وأثناء هذا
 الاستيضاح ، علم من مالك بن عقبة ومن غيره منهم ، أي من باقي

فلاسفة " المدرسة " ، أنهم كانوا يرفضون رفضاً قاطعاً طقوس الأضاحي والعرافة لدى الحرانيين ، وكذلك الاحتفالات " الباطنية و السرية " . إن المسعودي ، والحال هذه ، يميز كل التمييز بين الوثنيين العاديين في حرّان وبين الفلاسفة الحرانيين . وما اهتم بعرض لقائه مع مالك بن عقبة ، إلا لأن هذه الشخصية كان لها موقعها وسلطتها في " المدرسة " .

وعلى منوال أكاديمية أفلاطون الغابرة ، أو بالأحرى ، ما كانوا يروون عنها ، (86) فإن " مدرسة " حرّان كانت تحمل ، ليس على واجهتها الجبهية وإنما على مدقة مدخلها حكمة تدعو كل من يجتاز العتبة إلى الـ *bios philosophikos* . وفي فترة زيارة المسعودي في 332 هـ / 943 م كان لوثنية حرّان مركزان ناشطان : المعبد المسمى " ميلطية " و المدرسة الأفلاطونية . والتعليقات الانتقادية التي سمعها من المترددين على " المدرسة " تدل على أن هذين الركنين للوثنية الحرانية كانا تعبيراً عن غايات مختلفة ، وكانا ، لهذا السبب ، على تنافس فيما بينهما .

وأصبح مسلماً به منذ كولسن أن كل نشاط فكري قد توقف في حرّان بعد استقرار ثابت بن قرة في بغداد (ت. 288 هـ / 901 م) مع تلامذته . وقد رأى كل من كولسن وهيارب في هذا الانتقال " انشقاقاً " : يفسّره الأول بأسباب عقائدية ، بينما يرده الثاني إلى أسباب عملية شكلية . لكن المرجح أن ثابت الذي اجتذبت هبات الخليفة كان قد اختار بغداد لأسباب اجتماعية وسياسية " إذ العاصمة العباسية تقدم آنذاك إمكانيات إشعاع أكبر مما تقدمه عاصمة ديار مضر " . علماً أن هذا الرحيل إلى بغداد لا يعني إغلاق " مدرسة " حرّان ، لا ولانهايتها . فقد استمرت طويلاً والدليل أنها لدى زيارة المسعودي في 332 هـ / 943 م ، أي بعد ما يزيد عن سبعين عاماً من انتقال ثابت بن قرة إلى بغداد ، كان ما يزال فيها أعضاء وعلى رأسهم مالك بن عقبة حفاظاً على مؤسسة مزدهرة وذات تاريخ عريق يمتد لمئات من السنين .

وفي كتاب " التنبيه " فقرة (87) ، تلخص شرح كتاب " فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف " (88) ، وهو كتاب مفقود

اليوم ، وكان ماكس مير هوف Max Meyerhof دون تدقيق كاف قد استعان به في كتابه "Alexandrien Von Bagdad nach" ⁽⁸⁹⁾ . وهذه الفقرة الإخبارية تبين أهمية الدور الذي قامت به حرّان باعتبارها حلقة الوصل التي أتاحت عبور علم وفلسفة اليونان إلى العالم العربي. وجاء لدى المسعودي أن " مجلس التعليم " ، أي المؤسسة الأكاديمية ، انتقلت للمرة الأولى " من أثينا إلى الاسكندرية " ⁽⁹⁰⁾ . والسطور التالية في طبعة غوج Goeje حتى منتصف السطر الثاني من الصفحة 122 هي توضيح يشرح بالرجوع إلى الماضي الانتقال إلى الاسكندرية والذي يفترض أنه قد تمّ ، على ما يقول المسعودي ، إبان حكم ثيودوز ⁽⁹¹⁾ ، وعلينا أن نفهم أن المعني هو ثيودوز الثاني (408 - 450) . وإذا ما أخذ هذا الخبر كما هو ، تبين أنه مغلوط حيث أن " مدرسة أثينا " في ذلك التاريخ كانت في أوج نشاطها بإشراف بلوتارك Plutarque ثم بروكلس ⁽⁹²⁾ . والواقعة التي يشير إليها المسعودي يجب أن نضع تاريخاً لها على أقل تقدير بعد ربع قرن من وفاة ثيودوز . وهو ما يتوافق مع بدء تعليم أمونيوس Ammonius كرئيس لـ " مدرسة الاسكندرية " ⁽⁹³⁾ .

فيما بعد ، ودائماً حسب قول المسعودي ، انتقل " مجلس التعليم من الاسكندرية إلى انطاكية " ⁽⁹⁴⁾ إبان حكم عمر بن عبد العزيز (99 - 101 هـ / 717 - 720 م) ثم " من هناك إلى حرّان " ⁽⁹⁵⁾ في خلافة المتوكل (232-247 هـ / 847-861 م) . وعلى الرغم من السلطة التي اكتسبها هذان التاريخان منذ أن مهرهما مير هوف بمباركته ، ⁽⁹⁶⁾ فمن واجبنا الإقرار بأنهما ليسا أكثر مصداقية من التاريخ الأول المتعلق بتحديد الانتقال من أثينا إلى الاسكندرية . وذلك أن تحديد الانتقال من الاسكندرية إلى انطاكية أثناء خلافة عمر الثاني يطيل بشكل مغلوط ديمومة أعمال " مدرسة " الاسكندرية لقرن ونصف قرن من الزمان ؛ وبالمقابل فتأخير الانتقال من انطاكية إلى حرّان حتى خلافة المتوكل يقلّص "مدرسة " حرّان إلى الحدود الدنيا ويحصرها بما كان " أقماً " ما عرفته من نشاط قبل رحيل ثابت بن قرّة إلى بغداد . هذا وإن ابن أبي أصيبعة ⁽⁹⁷⁾ يؤكد

في كتابه " عيون الأنبياء في طبقات الأطباء " المؤلف في 640 هـ / 1242 م انتقال " مدرسة " الاسكندرية أثناء وصول عمر الثاني إلى الخلافة في 99 هـ / 717 م . لكن الانتقال المعني بالنسبة له هو بالطبع بصدد مدرسة الطب ؛ ومن طرف ثانٍ ، فذلك الانتقال يقول إنه تمّ " باتجاه انطاكية وحرّان " على التوازي ⁽⁹⁸⁾ . فكيف السبيل إلى التوفيق بين هذه المعلومات من جهة ، وبين المعلومات التي يوردها المسعودي من جهة ثانية ؟

إن إرجاع انتقال التعليم الاسكندراني إلى سوريا إبان خلافة عمر الثاني يبدو بوضوح نوعاً من المحاجة الماصرة للخلافة الأموية . ويجب علينا أن نفهم هذين الخبرين ، ليس باعتبارهما تاريخاً لانتقال مؤسسات ، وإنما كإثبات للنشاط الفكري المستمر على حد سواء في انطاكية (مدينة وتخما) وفي حرّان (مدينة وتخما) ، مع نهاية القرن الأول الهجري ، حيث كان كل من المركزين يطالب بلقب وشرف حيازة الإرث الاسكندراني . وأما عدم إشارة ابن أبي أصيبعة إلا إلى " انتقال " مدرسة الطب فلا يصعب فهمه ، لأن النشاط الطبي وتعليم الطب هما ، في واقع الحال ، جزء لا يتجزأ من النشاط الفلسفي وتعليم الفلسفة ، ⁽⁹⁹⁾ فلم يتم " تغيير موقع " الطب دون " تغيير موقع " الفلسفة .

وعندما أصدر جو ستتيان أوامره في عام 529 بإغلاق " مدرسة " أثينا ألف جان فيليبون Jean Philippon في الاسكندرية " De aeternitate Contra Proclum " ⁽¹⁰⁰⁾ . وقد تزامن الإنهاء الرسمي للأكاديمية مع سيطرة المسيحيين دينياً على مدرسة الاسكندرية ⁽¹⁰¹⁾ . وبعد ذلك بثلاثة أعوام كان اتفاق السلام الموقع بين كسرى أنو شروان وبين جو ستتيان ، وهو الاتفاق الذي أتاح لمنفيّي " مدرسة " أثينا ، داماسكيوس وسمبليكيوس وزملائهما ، بمغادرة إيران ، لكن ماتزال الشكوك الكثيفة تحوم حول تحديد الوجهة الجديدة التي يممّوا شطرها ⁽¹⁰²⁾ . إن النقش على بلاطة قبر " زوسمة " في حمص ، ⁽¹⁰³⁾ يعود تاريخه إلى 538 م وهو كتابة لداماسكيوس ، فتستوحي منه أن هذا الأخير كان يعيش آنذاك في سوريا . في أية مدينة إذن ؟ أما انطاكية ، الموقع الحصين

للمسيحية ، فتبدو مستبعدة. والرها أيضاً ، لأن مدرستها الخاضعة للنسطورية كانت مغلقة منذ عام 489 . ويصدق الأمر نفسه أكثر فأكثر على نصيبين التي كانت في أرض إيرانية والتي كان منفيّو " مدرسة " الرها قد جمعوا شملهم المشتت فيها . فالمدينة البيزنطية الوحيدة ذات اللغة اليونانية - الأرامية ، والتي كانت " الهلينيّة " فيها قوية ناشطة ، هي حرّان على مسافة 38 كم إلى الجنوب والجنوب الشرقي من الرها .

ويورد بروكوب Procope خبراً (104) يروي في الواقع أن كسرى أنو شروان أعفى سكان حرّان في 544 من دفع الضريبة لأنهم ظلّوا على الدين القديم . هذا ، ونظراً لأن " مدرسة " حرّان لم تهبط من السماء بقدرة قادر في القرن الأول الهجري ، لا يمكننا استبعاد فرضية أن منفيّي أثينا ، المدينة التي كانت آخر موقع للمقاومة اليونانية في مواجهة المسيحية ، قد وجدوا ملجأ وطاب لهم المقام في تلك المنطقة البيزنطية في الحد الأقصى للحدود مع إيران ، جنباً إلى جنب مع أفلاطونيين كانوا سابقاً قد قصدوا " مدرسة " أمونيوس . وهذا قد يفسّر لنا قيام المؤلفين المسيحيين المرّة تلو المرّة بالسخرية دون هوادة من " مدرسة الهلنيين " في حرّان ، وهي المنافسة بشكل مألوف " مدرسة الفرس " المجاورة ، والمستقرة في نصيبين ، فأولاهما وثنية عقلانية ، فلسفية ، وثنائيتها نسطورية ، كهنوتية ، لاهوتية ، لكنهما معاً تحت حماية " ملك الملوك " . وإليه أهدى حينذاك بريسيان Priscien ، صديق سمبليكيوس ، تأليفه المعنون " Solutions " (105) .

إبان الحكم الأموي - وهنا تكتسب شهادتنا المسعودي وابن أبي أصيبعة قيمتهما الفائقة - كان المنهلان الفكريان لانتقال علوم اليونان إلى العالم العربي سوريين : أنطاكية المسيحية وهي يونانية - سريانية ، وحرّان الوثنية وهي يونانية - عربية - سريانية . وحرّان هي التي قدّر لها أن تصبح عاصمة الامبراطورية مع صعود مروان بن محمد إلى سدة الخلافة (127 هـ / 744 م) . وبطبيعة الحال فقد تركز المسيحيون المتخرجون من " مدرسة " الاسكندرية في أنطاكية وفي أديرة التخوم ومن هناك انطلقوا للسيطرة فكرياً على

حرّان .

ولدينا فقرة للفارابي حفظها لنا ابن أبي أصيبعة تشير إلى أنه لم يعد يوجد في أنطاكية ، مع بدء الخلافة العباسية ، إلا معلم وحيد وبعده تلميذان ، الأول من حرّان ، والثاني من مرو (106) . والتلميذ الحرّاني الذي لم ينقل إلينا اسمه ما كان له أن يكون إلا مسيحياً ، والتلميذان اللذان علمهما بدوره غادرا آنذاك أنطاكية وقصدا بغداد ، حيث أصبح الأول أسقفاً بينما ظل الثاني راهباً . فهذه الشهادة من الفارابي تثبت وجود حركة فكرية أكيدة فيما بين حرّان وأنطاكية ، لكن هذه الحركة كانت على أيدي المسيحيين دون سواهم ، لرغبة هؤلاء في أن يضموا إلى فلك أنطاكية اليعقوبي مدينة حرّان التي كانت قد أصبحت ضمن محيط التأثير النسطوري والتي كانت ماتزال ، علاوة على ذلك ، وثنية في غالبيتها . وفي مطلع القرن التاسع ، كان أسقف الحي المسيحي في المدينة " ملكياً " آنذاك ، وهو تيودور أبو قرّة ، أول من ترجم أرسطو إلى اللغة العربية (107) .

ضمن هذه الشروط يجب علينا أن نأخذ شهادة المسعودي حول انتقال علوم اليونان من أنطاكية إلى حرّان بتحفظ كبير لأنها جاءت من مصدر مسيحي الانتماء ، حريص كل الحرص على أن " يجيّر " لصالحه ، في وجه المدرسة المنافسة ، مدرسة " الصابئة الروم " ، أي الأفلاطونيين الأقحاح ، مصداقية الدمغة الاسكندرانية لتراثها الفكري . وهكذا فلم يحصل انتقال ، بالمعنى الدقيق للكلمة ، لمؤسسة أمونيوس القديمة ، تلك التي كان سمبليكيوس قد تلقى فيها محاضرات في مطلع القرن السادس ، ولم يتم هذا الانتقال إلى أنطاكية أو إلى حرّان ، في خلافة عمر الثاني ، لا ولا قبل أو بعد تلك الخلافة . القضية وما فيها أن طرفين يتجاذبان المطالبة بالتراث نفسه ، فمن طرف أنطاكية ومالها بالنسبة لمسيحي حرّان من دور الوسيط ، ومن طرف ، وبخط مستقيم وأقدم عهداً ، أولئك الذين أطلق العرب عليهم اسم " صابئة الروم " .

وهذا ما يمكن أن يفسر كيف وضع أولئك " الصابئة " فوق عتبة " مدرستهم " نقشاً ذا مضمون فلسفي ، كما كانت الحال بالنسبة لأكاديمية أفلاطون ، وكما كان يؤمن به عرف هليني رجع إليه تحديداً

- ولم يكن هذا على سبيل المصادفة - أفلاطونيو الاسكندرية (108) .
لا ولا كانت مصادفة أن نصّ النقش مقتبس من كتاب " السيبياذ " ،
الجزء الأول ، وهو الذي كان أفلاطونيو الاسكندرية ، من القرن
الثاني وحتى القرن السادس ، يعتبرونه باب الولوج إلى دراسة
أفلاطون والفلسفة (109) . وتلك الحكمة التي تشف عن الشعار الدلفي
تعود إلى الظهور في " التنبيه " مشروحة موسّعة بالاستعانة بمبدأ
شاهداه اليونانيان يوردهما في سياق مماثل أفلاطونيان من الاسكندرية:
هرمياس وأولمبيودور . وهذا أيضاً ليس من باب المصادفة .

ويشبه أولمبيودور الـ " السيبياذ " ببوابة فخمة محرسها
السريّ الـ " بارمنيد Parménide " (110) . وتلك هي الحال في
حرّان . فالـ " السيبياذ " عند المدخل ، وأما الـ " بارمنيد " فكان في
الوسط . والحقيقة ، وفق شهادة الكندي ، وهي الشهادة التي استعارها
ابن النديم من السرخسي ، فإن لب الفكر الميتافيزيقي لدى " صابئة
حرّان " كان يتمثل في قولهم : " للعالم علة لم يزل ، واحد لا يتكاثر
ولا يلحقه صفة شيء من المعلولات " (111) .

أما كولسن فلم يقدم تعليقا على هذا القول ، لكنه في الفصل
الذي خصصه للحديث عن الماهية الأسمى للصابئة (112) أورد من
بين عدة استشهادات مقتبسة من الأفلاطونية القديمة قولاً من
" اسكليبيوس Asclépius " حول : " omnia unum esse et
unum omnia " ، وهذا القول هو ما حدا بسكوت Scott كي
يدرج عبارة الكندي من ضمن الـ Hermetica (113) . وأما
هيارب فكان أكثر دقة عندما قارب بين هذه العبارة وبين " لاهوت "
أرسطو ، أي أفلوطين (114) . وفي رأيي فإن هذه الجملة البالغة
التكثيف مرتبطة بأصفي ما أثر عن الأفلوطينيين اللاحقين عن التشكل
التلقائي للاهوت السلبي . وإذا ما تفحصنا عن قرب مبنى وفكر تلك
العبارة ، ارتسم في خلفية البحث اسم لا يخيب ، ألا وهو اسم
بروكلس : بمفهوم الأحد باعتباره المسبب (علة ، αἰτί) (115) ، وتنزّه
المسبب عن الصفة ، والتصاقها بالسبب (معلول ، τὸν ὁ τῶν)
تبعاً لديا لكتيك الواحد والكثرة (يتكاثر ، πλεῖον) (116) ،

والتعريف بالأحد واحداً مفرداً (واحد ، $\mu\omicron\nu\acute{\upsilon}\varsigma$) (117) . وهناك علاوة على ذلك نعت المسبب باعتباره (لم يزل) ، وتقديرها " لم يزل موجوداً " ، فهذا يذكر بصيغة فيدر Phèdre (οὔπο) التي استخدمها بروكلس في كتابيه " العناصر " (118) و " علم الإلهيات " (119) .

ولا يشهد خبر الكندي ذاك على مجرد أن فلسفة أولئك " الصابئة " المزعمين في حرّان مصدرها من الأفلاطونية الحديثة وتحديداً لأفضل ما وصلت إليه من تصورات ، وإنما يكشف لنا علاوة على ذلك الوجه الثاني في تلك الفلسفة . فهؤلاء المفكرون الحرّانيون كان لهم أعيادهم العامة ، وصلواتهم ، وصيامهم ، ونظامهم الغذائي (120) . ومثل هذه الشعائر ، الصعبة في أثينا بروكلس وداماسكيوس ، وفي اسكندرية أمونيوس وأولمبيودور صعوبتها في بغداد العباسيين أيضاً حيث استقر فيما بعد ثابت بن قرّة ، كان يمكن بكل حرية القيام بها في حرّان ، في وسط اجتماعي كانت وثنيتته ماتزال على قيد الحياة ، على مقربة من معبد محدد ، معبد الإله " قمر " ، وهو المعبد الذي لم يتوقف نشاطه أبداً منذ العهد الحوري . وكان هؤلاء الأفلاطونيون الذين يعيشون حياة جماعية داخل " مدرستهم " يستطيعون الانصراف على مهل إلى ممارساتهم في تحضير الآلهة مثلما كانت تقضي به فلسفتهم . وكان خطأ منظور المؤلفين العرب - وعلى خطاهم ، الاستشراق الغربي - الخلط تحت العنوان " الصابئي " بين شعائر هؤلاء الفلاسفة وبين شعائر أبناء مدينتهم الذين كانوا يقصدون المعابد ، فاختلطت عقيدة هؤلاء بديانة أولئك . أما الكاتبان الوحيدان اللذان تجنبنا هذا الخلط فكان أحدهما فيلسوفاً والثاني سائحاً : الكندي والمسعودي ، وكلاهما من بلاد ما بين النهرين . وكانت معلومات الفيلسوف مستقاة من مصدر ثقة ، لأن مقدمها وتلميذه في الوقت نفسه ، السرخسي ، كان يتكاتب مع ثابت بن قرّة . وأما معلومات السائح فليس ما يضاهيها قيمة ، إذ أنها رجع الصدى المباشر لما كانت ماتزال عليه في أواسط القرن الرابع للهجرة " مدرسة " حرّان الأفلاطونية .

المصادر التاريخية السابقة للنقوش التي نقلها المسعودي واستبعاد الخلط مع المذهب الصابئي الحرائي

قبل ثمانية قرون من استفسار المسعودي عن مدلول النقش السرياني المنقوش على مدقة مدخل صابئة الروم في حرّان ، كانت الحكمة الجوهرية في : " ألسيبياد " متشعبة الانتشار في مصر الغنوصيين ، والسحرة ، والخيميائيين . وقد تم تطبيق أنثربولوجيا : " ألسيبياد " تطبيقاً ملحوظاً في كتاب " ألوجين Allogène " (121) . فنجد في النصّين شخصيات تشغل مواقع متماثلة تماماً . فهناك يكون " الطفل الملازم لمربيه " (122) هو ألسيبياد ويدعوه سقراط - أو قل إن شئت : سقراط نفسه يدعوه جثّيه - كي يكتشف " tò ' autó ' autó " (123) ما هو فيه حقاً وصدقاً خيره الخاص ، أي طبيعة عقله الإلهية . وهنا ، نجد " يويل Iouel " ، العذراء الذكرية (124) ، مربية " ألوجين " الذي هو صورة الطفل الغنوصي المطلق والذي سوف يصبح بدوره مربياً لابنه " ميسو Messos " (125) . وبغية أن تبين له سير أنماط الإدراك العقلي (126) ، تشرح ضرورة أن يتم خروجها نحو المدركات (127) ، وتعلن له أنه سوف يكون شاهداً في نفسه على مرورها ، قبل عودتها صعداً نحو الثالوث الأولي ، حتى لو كان لازماً عليه أن ينتظر في سبيل ذلك " مائة سنة " (128) . وكما هي الحال في " أغنوصت Eugnoste " (129) ، التي هي مع ذلك ذات سياق مختلف ، تستخدم فكرة التقدم في وصف الشرط اللازم لكل بحث في معرفة الجواهر ، وضمنها ما يتصل بذاك الذي يعلم أن ما يدرك في داخله الجواهر هو إلهي الطبيعة والمصدر .

وتقول يويل لألوجين هذه العبارة التي يمكن إعادة تركيب

نصها كالتالي :

[e]¹⁵ šöpe ekša[nšine hn ou] / šine efjě[k ebol* tote] /
ekeeime ep[noute etn] / hětk* tote e[keeime erok] /
höötk* pëet[ouebol hm]²⁰ pnoute etr[šorpn šoop] /
ontös

" إذا ما بحثت بحثاً كاملاً فإنك ستتعرف على الإله الكامن
فيك ، وحينها تتعرف على ذاتك نفسها (باعتبارك) ذاك الذي يصدر
عن الله الأزلي الوجود حقاً " (130) .

ولابس علينا إذا ما أعدنا صياغة السطر 19 ، الذي هو ذروة
العبارة . فإذا جعلنا مرتكزنا الكلمة المحورية لدى المرقصيين :

εγω υἱὸς ὑπὸ πατρὸς, πατρὸς προόντος, υἱὸς δε εν " τῷ προόντι
قد يمكننا سد ثغرة السطر 19/ كما يلي: " Pëet [šoop hm] " (131)

إلى آخر السطر 20/ . وهذا ما يكون معناه : " وحينها تتعرف على
ذاتك نفسها (باعتبارك) ذاك الذي هو [في] الله .. إلى آخر القول .
" ولكن الفكرة المتضمنة في الكلمة المحورية تلك ، رغم تقارب
المفردات ، لا تتوافق تمام التوافق مع فكرة النص الوارد في
" ألوجين " ، ولا يمكنها بالتالي أن تسعفنا بكثير أو قليل في بحثنا هذا.
وأما إعادة الصياغة كما تفترضه الترجمة الأميركية
" (as)one who exists with " (132) ، رغم أنها قد تبدو مقبولة ،
فتظل برهاناً على حشو زائد ، هو في جميع الأحوال دون أي تسويغ.
نتيجة لذلك ، إعادة الصياغة المقترحة أعلاه هي الوحيدة التي يمكن
اعتمادها . ولدينا شاهدان يعلنان قبول هذا الاستنتاج : نص
" Anonyme de Bruce [An Br] " وأفلوطين . ففي ترتيل صيغ
بجمل مترادفة متناوبة (133) ، نرى يسوع السماوي في : " An Br "
الذي اسمه " مولى كل شيء " (134) ، يتوجه بالخطاب إلى جواهر
بلاطه الإلهي ، الذين هم الصور الملائكية للعقول الغنوصية ، ويقول
لهم : " سوف تصبحون آلهة ، وتشهدون بأنكم تصدرون عن الله
(ntetnhenebol hm pnoute) ، وترونه هو الله في
ذواتكم " (135) . فكما هي الحال في " ألوجين " ، فرؤية الذات

الشخصية على أنها الله هي الشهادة بالمصدر الإلهي لوظيفة المعرفة الحدسية. وهذا ما هو وارد على حد سواء في القول / 394 / من Sextus ، والذي نجد ترجمته القبطية على وجه التحديد في المخطوطات المسماة بـ " مخطوطات نجع حمّادي " ⁽¹³⁶⁾ ، وفق صياغة بعيدة كل البعد عن النصّ الموحد الذي توصل إليه شادفيك Chadwick ⁽¹³⁷⁾ ، لكنه قام فيه رغم كل شيء بالمراجعة نفسها الواردة في الشاهدين اللاتيني والسرياني ⁽¹³⁸⁾ . بناء على ذلك ، فالصياغة الصحيحة لـ " القول " ، أي الصياغة غير المقولبة مسيحياً والمنسجمة مع الأجيال اللاحقة لـ " ألسيبياذ " هي تلك التي نجدها في: " Patmiensis " [263 X° S.] ، " τί Θεός . γνωοί τί τὸ " ، " νοοῦν ἐστὶν ἐν σοί " ⁽¹³⁹⁾ . ويكون الجواب على التساؤل حول طبيعة الله هو تعرف المرء على ما هو في ذاته نفسها الكيان المفكر .

إن رؤية الإنسان لنفسه كإله هي شهادة منتهاها ، حسب " ألوجين " ، إدراك الصيغ العقلية للقدرة الإلهية : الغبطة ، والديمومة ، والوجود ⁽¹⁴⁰⁾ : " أعرف من هو هكذا في ذاتي مثلما أعرف القدرة الثالوثية وتجلي لانهايتها " ⁽¹⁴¹⁾ . ومثل هذا الإدراك للذات الشخصية هو الرؤية المباشرة له تعالى : " رأيت [هـ] " ⁽¹⁴²⁾ ، وهي حقيقة يكون إنكارها فور تأكيدها : " إذا ما عرفه أحد ما المعرفة الكاملة ، فيجب أن يبدو كما لو لم يكن يعرفه " ⁽¹⁴³⁾ . ويمكننا أن نربط برؤية الذات كإله ، وفق تأكيد " ألوجين " و " Sextus " ، المبدأ الذي قال به بروكلس في : " De Providentia " : " Te ipsum videns verere " ⁽¹⁴⁴⁾ . ويشير فيسترلنك westerlink إلى شهادة يونانية على هذه الصيغة في مقطع ظل محرفاً حتى حينه ، وهو وارد في كتاب بروكلس : " In Alcibiadem " ⁽¹⁴⁵⁾ . وتقول الفقرة : " σουτὸν ἰδὼν ἐνδύοι . " . فالأمر الموجه بالولوج إلى المعبد الداخلي لا يضيف كثيراً إلى الشعار الدلفي . وأما العبرة التي تقدمها لاتينية غليوم دوموربك guillaume de Moerbeke فتكتسي ، في رأيي ، معنى أقوى بكثير من أن يكون الأمر مجرد دعوة لدخول المرء إلى ذاته ، وهذا دون شك على ارتباط بتجانس صوتي ميسّر

($\delta\epsilon\delta\theta i > \epsilon\nu\delta\upsilon\theta i$) . فالقول كما نقله دومينيكياني العصر الوسيط له معنى واضح متصل بخط مستقيم مع " ألوجين " ، و " Sextus " و " تعالى الله " في النقش الحراني : فعندما ترى نفسك بنفسك ، اخشع ، كن على خشوع ديني ، بمعنى : لأنك إنما ترى الله ذاته .

وفي الفصل الذي كرسه أفلوطين للنتائج الأخلاقية الناجمة عن العقيدة الغنوصية⁽¹⁴⁶⁾ ، يقرّع الغنوصيين تقرّيعاً عنيفاً غير معهود لديه لأنهم يحطمون كل حياة أخلاقية : " دون توفر الفضيلة الحقة ، لا يكون الله سوى كلمة تقال " ⁽¹⁴⁷⁾ . وعقيدتهم بالتالي أدهى من عقيدة الأبيقوريين⁽¹⁴⁸⁾ . وللبرهنة على ذلك يعرض أفلوطين صيغة فيها الخطاب البرنامج الكامل لخصومه :

(149) . τοὺς ἤδη ἐγὼ κοῖτας ... ἐκ θείας φνύσεως

وهذه فعلياً صيغة " ألوجين " و " An Br " المرتبطة بالمغزى الكامن في " السيبياذ " . على أن أفلوطين يأخذ على عاتقه تبليان النتيجة المباشرة لمثل هذه الصيغة لدى من يحاربهم ألا وهي نفي الفضائل ، ومن بينها الفضيلتان المحددتان لخير الإنسان : الاعتدال والعدالة⁽¹⁵⁰⁾ . إن الأمور تجري جميعاً ، في نظر أفلوطين ، كما لو أن الغنوصيين ، باستنادهم إلى المبدأ النهائي في " السيبياذ " ، كانوا يعتبرون ذلك المبدأ نقطة انطلاق مطلقة ، ومن ثم فهم يهملون الخطاب الأولي الذي هو في صلب تحديد الخير بالعدالة والاعتدال⁽¹⁵¹⁾ . وهكذا فإن أفلوطين يعاود في شرحه وضع الأمور في نصابها داعياً خصومه إلى إعادة قراءة " السيبياذ " قراءة صحيحة ، أي أن تكون القراءة من البداية : فتعريف الإنسان هو بادئ ذي بدء تعريف خيره ، إذن ، إقامة الفضائل التي تصل ذروتها في الاعتدال⁽¹⁵²⁾ . وليس بالإمكان ، حسب رأيه ، التوصل إلى اكتشاف المنشأ الإلهي داخل الذات للتفكير والمعرفة ، إذا لم يتم مسبقاً التعرف على المقولات الأخلاقية المؤدية إلى معرفة الذات . إن الغنوصيين ، إذا أمكن القول ، كانوا يمشون بالمقلوب ورؤوسهم إلى الأسفل . وكان أفلوطين في غاية السعادة لأنه ، مجدداً ، يبرهن على عدم أمانتهم تجاه أفلاطون .

لقد حوت مخطوطات القاهرة " أقوال Sextus " وتعليمات سيلفان " - Silvain - وقطعة من " جمهورية أفلاطون ⁽¹⁵³⁾ . وهذا برهان على أن النتائج التي استخلصها أفلوطين من الصيغة - البرنامج لدى الغنوصيين إنما تلبي نية مبيتة. وعندما يتهم أفلوطين الغنوصيين بأنهم لا يملكون مبادئ أخلاقية مكتوبة ، وأنهم " يفبركون " لاهوتاً لا أساس أخلاقياً له ، فهو إنما يمارس الجدل الكلامي . ولماذا يتوجب على الغنوصيين بلورة وثيقة أخلاقية مكتوبة، وفي حوزتهم الرسائل الأخلاقية التي كان يستخدمها أفلاطونيو عصرهم ؟

وهكذا يؤكد سيلفانوس ، بقوة ، الأسبقية المطلقة للجزء العقلاني من النفس ⁽¹⁵⁴⁾ ، والذي هو العنصر الإلهي الكامن في ذواتنا ؛ إنه فينا عنصر الله ذاته والأحد ⁽¹⁵⁵⁾ . على أن الوثيقة نفسها تؤكد على حد سواء ، وبالقوة عينها ، ضرورة الـ " paideia " والخطاب الأخلاقي ⁽¹⁵⁶⁾ ، اللذين يسعيان إلى تأمين المراقبة والإلغاء التدريجي للجانب " الحيواني " ⁽¹⁵⁷⁾ فينا ، أي الأهواء التي تتعارض مع التعرف على ما هو إلهي فينا . والمثل المضروب عن الحيوان مثوي الأشكال ، وعن الأسد والإنسان ، ذلك المثل المأخوذ من " الجمهورية " والذي نجد إعادة صياغة قبطية له في " Codex VI " ، يمضي في الاتجاه نفسه . فهذا النص دعوة لنهج الحياة وفق الفلسفة ، ذلك النهج الذي قوامه التعرف فيما وراء الأقسام الحيوانية لدى الإنسان على حقيقة طبيعته ، الداخلية وليس الخارجية ، التي لا تعود تحت هيمنة اللذة والغضب وإنما تتوحد وفق الخير الخاص للعقل ، أي الله ⁽¹⁵⁸⁾ . إن انتقال مثل هذا النص على حاله في مجموعة كتابات غنوصية يبرهن أنهم كانوا يدركون أقواله على أنها غنوصية حقة ، ليس بسبب تصنيف الطبائع المتوفر فيه فقط ⁽¹⁵⁹⁾ ، وإنما أيضاً لأنها تقوي بصيغة العهد القديم الأدبية المتينة طروحات " السيبياذ " ⁽¹⁶⁰⁾ .

ولدينا وثيقة ثالثة عرفناها هذه المرة بفضل العرف غير المباشر وهي تؤكد أن الغنوصيين كانوا يقرأون " السيبياذ " قراءة صحيحة وما كانوا ، على عكس زعم أفلوطين ، قد نحّوا عن

منظورهم كل خطاب أخلاقي . ونحن هنا بصدد مقطع من :
" رسالة إلى تيوفرست Théophraste " التي كتبها منع Monoïm
العربي ، وأورد ذكرها مؤلف " Elenchos " (161) :

" بعد توقفك عن البحث عن الله ، والخلقة ، وغيرها من
الأمور المشابهة ، ابحث عن نفسك أنت نفسك بدءاً من نفسك ، وتعلم
من الذي فيك يحوز حيازة مطلقة كل شيء والذي يقول :
إله " ي " ، عقل " ي " ، فكر " ي " ، نفس " ي " ، جسم " ي " ،
وتعلم من أين يتأتى أن يتقلب المرء بين الحزن والفرح ، وأنه يحب
ويبغض ، ويظل ساهراً دون إرادته ، وينام دون إرادته ، وينساق مع
الغضب دون إرادته ، ومع الصداقة دون إرادته . فإذا ماسعت إلى
معاينة هذه الأمور بكل تدقيق ، سوف تجد نفسك بنفسك ذاتها في
نفسك ذاتها ، واحداً ومتكاثراً ، على صورة هذا الحرف
المكتوب (162) ، وتجد المخرج انطلاقاً من ذاتك نفسها " .

وإما كتب منع ما كتب فإنه لم يقل سوى ما يقوله سيلفانوس .
وهذه السلسلة : إله " ي " ، عقل " ي " ، فكر " ي " ، نفس " ي " ،
جسم " ي " ، الملحق بها مباشرة تعداد مختلف ما يدخل ضمن
المفردة الأخيرة من السلسلة ، ما هي إلا إعادة إجمالية لمضمون
" السيبياذ " بأكمله ، لكن باتجاه معكوس ، رجوعاً من ختام النص إلى
بدايته ، أي من الـ : autò tò autó " ، التي تعرف الإنسان في
ذاته ، حتى الـ : " tò- autoú " التي تقتصر على وصف ما يخصه .
يمكننا إذن أن نعتبر " السيبياذ " بحق وصدق النص الأهم
الذي استعانت به الحركة الغنوصية . بل يوجد شاهد على استخدام
الغنوصيين للاستعارة الختامية المتعلقة بالعين والمرآة . ففي المقدمة ،
جواباً على السؤال المطروح ، ألا وهو : لماذا يحب سقراط السيبياذ
ويصرح بأنه يحتل في نفسه منزلة لامثيل لها (163) ؟ يشرع الحوار
الأفلاطوني بعرض مقارنة ما بين العين والنفس . فكما أن عين الآخر
هي مرآة جسم " ي " ، فنفس الآخر هي مرآة نفسي ؛ ومعرفة
الذات تتم بوساطة ذات الآخر (164) على أن البؤبؤ هو الجزء الذي
جعل في العين مستقر وظيفية الإبصار ، وكذا الحال في النفس التي
مستقر وظيفية المعرفة فيها هو العقل ، مرآة الله فينا . (165) نتيجة

لذلك ، وبسبب هذه السمة الإلهية للجزء المفكر من النفس ، فإن معرفة المرء لذاته تؤول إلى معرفة كثية العنصر الإلهي الكامن في ذاته نفسها . وفي : " رسالة أغنوصت " ، التي بيّنا⁽¹⁶⁶⁾ أنها نص غنوصي مخصص للفلاسفة ، يبادر المؤلف إلى تطبيق الاستعارة الأفلاطونية على علم الإلهيات ويصف النشاط التصوري لـ " الأب " الأول الذي لا مبدأ له (Propator anakhos) بأنه " ذاك الذي يرى نفسه بنفسه كما لو في مرآة " (nthe au eial)⁽¹⁶⁷⁾ . وهذا القول الأخير نجده مجدداً في " ألسيبياذ " ὡςπερ ἐν κατοπτρῳ⁽¹⁶⁸⁾ وحسب مؤلف " أغنوصت " ، فإذا كان الله مرآة النفس ، فما ذاك إلا لأنه بادئ ذي بدء مرآة نفسه ذاتها . فموضوع وذات الرؤية هما أمر واحد فيه .

هذا وقد استعان الغنوصيون استعانة غير مباشرة بنصّين أفلاطونيين آخرين : بارمنيد والمثل . وكان بيير هادو Pierre Hadot قد لاحظ منذ فترة بعيدة الرابطة القائمة بين الحجة السلبية القائمة في : " Apocryphon de Jean [A jn] - إنجيل يوحنا المنحول - وبين شروح الفرضية الأولى في : " بارمنيد "⁽¹⁶⁹⁾ وإننا ، من جانبنا ، محصّنا بما فيه الكفاية تفصيلاً وتوضيحاً ، صحة ملاحظاته فيما يتعلق بـ [A jn] ، و " أغنوصت " ، و " ألوجين " ⁽¹⁷⁰⁾ ، فلا حاجة للرجوع إلى هذا في بحثنا الحالي . ففي النصوص الثلاثة تلك ، تبدو الحجة من التقارب بحيث تؤكد صدورها عن شاهد بعينه ، أو عن نسيج مفرد لا يتغير ، هو نوع من موجز للفلسفة اليونانية انتقل بصيغته المستقلة أو بعد دمجها دمجا متقناً في نص منحول .

أما الحالة الثانية التي استوقفتني وأمعت فيها النظر فحضرت عندما أمسكت طرف الخيط في : " In Somnium Scipionis " من تأليف ماكروب Macrobe ، وذلك مع استعراض المقولة الأولى في إنجيل يوحنا المنحول ، أي التأمّلات المتصلة بالنفس العظمية⁽¹⁷¹⁾ ، وانتبهت أن قائمة الشهوات الشيطانية التي تختتم المقولة الأولى نفسها كانت قائمة ذات اتجاه رواقي راسخ⁽¹⁷²⁾ ، فأصبح بالإمكان منذ ذاك تعقب الرابطة بين الأفلاطونية ، والعناصر الفلسفية في إنجيل يوحنا المنحول ، و " ألوجين " من جهة ، والنصوص الزرادشتية المنحولة

والعرف الفلسفي اليوناني من جهة ثانية⁽¹⁷³⁾ . ومن أحد هذه العناصر الأخيرة ، المذكورة بالاسم الصريح في انجيل يوحنا مصدراً مباشراً لمجموع المقولات ، كما تنقلت في مصر وسوريا إبان العهد الهليني والروماني ، وكما وضعت تحت سلطة مجوس إيران الغابرة حسب مشيئة العرف اليوناني الذي ينسبه بلوتارك إلى المنشقين الأفلاطونيين في القرن الرابع قبل الميلاد⁽¹⁷⁴⁾ ، كان الغنوصيون ، مستخدمو الهلينية معاداة منهم لليهودية ، قد استقوا مواد ملخصهم الخاص . ونحن من جانبنا أصبحنا نعلم بالعادة العلمية وحدة هذه العناصر أيديولوجياً ونعاود تشكيلها وفق منشئها البدئي . وأما بالنسبة لمستخدمي تلك العناصر ، فكانت لديهم مجهولة الانتماء وكانت مصادرها الغابرة ما تزال غير محددة المعالم . وحسب شهادة جوشيم Zosime⁽¹⁷⁵⁾ ، فاللعب بكلمتي phos / phos ، المرتبط بالتأملات في اسم آدم ، والذي نعود فنجد في مقطع من مقاطع إنجيل يوحنا ، هو تحديداً المقطع الذي يسبق المقولة المأخوذة من : " كتاب زرادشت " ، وذاك التلاعب يعود في مصدره إلى : " Nicothée " ، أي إلى وثيقة مكتوبة مهترت باسمه . هذا ، ونظراً لأن بورفير يشير إلى أن الغنوصيين المترددين على " مدرسة " أفلوطين كان بحوزتهم مثل هذه الوثيقة ، وأنهم من طرف آخر ، كان على قائمة الوثائق التي يقرأونها أيضاً كتاب عن " زرادشت " ،⁽¹⁷⁶⁾ فليس ما يمنع الربط بين هذين النصين المنحولين ، باعتبارهما يشكلان معاً كشفاً وحيداً استخدمه الغنوصيون كـ " حوض " فلسفي جامع .

ولم يكن الغنوصيون هم وحدهم من متح من معين " حوض " التخزين ذاك : بما فيه مائنسبه في أيامنا هذه إلى " السيبيا " ، و " المثل " ، و " بارمنيد " . فها هم خيميائيون وسحرة⁽¹⁷⁷⁾ يدلون بدلوهم ويستقون من تلك الأفلاطونية التي انتقلت مابين ظهرياني " الكلدان " . وفي مقطع من نص : رسالة إلى تيزوبي " Théosébie " التي استشهد بها الفيلسوف أولمبيودور ، ينصح جوشيم الذي سبق ذكره المتكاتبه معه أن : " تريح جسدها وتهديء أهواءها " ، ثم هاهو يقدم إليها المبدأ الأثير إلى نفوس الغنوصيين ، عندما تتعرفين على نفسك بنفسك ، تتعرفين حينذاك أيضاً على

الواحد الأحد ، الله حقاً وصدقاً⁽¹⁷⁸⁾ . ويبين لنا مقطع مطابق لـ " الكتاب الأول حول الحساب الأخير " أن المبدأ الأفلاطوني ، بالطريقة نفسها لدى الغنوصيين ، لم يكن له من معنى إلا حينما يتحقق بالزهد لجم الأهواء والرغبة ، والمتعة ، والغضب ، والحزن⁽¹⁷⁹⁾ . وإذا كان جوشيم قد أطلق عليها اسم " أقدار الموت " ⁽¹⁸⁰⁾ ، وإذا كان عددها بعدد الكواكب ، كما هو الحال في إنجيل يوحنا المنحول⁽¹⁸¹⁾ ، ففي هذا تأكيد إضافي أننا بصدد الاعتماد على المصدر الزرادشتي المنحول ذاته ، المعروف لدى الغنوصيين .

التعرف النوعي والدقيق على صابئة القرآن

لقد تحدثنا عن حرّان ثم عن نجع حمّادي بصدد " ألسيبياد " أفلاطون ، ولكننا لا نبتغي من وراء ذلك إظهار علاقة ما ، تاريخية كانت أو حتى أيديولوجية ، فيما بين صابئة حرّان والغنوصيين . فهاتان الفئتان غريبتان كلياً إحداهما عن الأخرى . وأما التطرق إلى " غنوصية الحرّانيين " ، كما فعل هيارب ، فهو محض استخدام خادع للمفردات واضح للعيان . فالأمر الوحيد المشترك بين الجماعتين هو استخدامهما لأفلاطون على محوري كتابيه " ألسيبياد " و " بارمنيد " . لكن يصعب علينا ، حتى بصدد هذا الأمر ، القبول بوجود وجهة نظر موحدة لديهما معاً .

فالحرّانيون ، ونعني بهذه الصفة علماء حرّان ، كانوا أفلاطونيين بالمعنى الجامعي للكلمة . وكان أفلاطون موضوع دراستهم ومحور نشاط البحوث في مدرستهم ، التي كانت تمارس عملها كما جميع المدارس الفلسفية . فكان لها شعائرها ومناهجها . وكانت أعمالها تقوم على التفسير والقراءة ، أي على الترجمات والشروح المرافقة . ولها في هذا المجال دور هائل ، إذ ظلت على وثنيتها حتى النهاية ، وهذا مأهلاًها ، بالإضافة إلى ارتباطها بثلاث لغات كبرى ذات إرث حضاري ، كي تكون حلقة في سلسلة نقل علوم الأقدمين إلى الإسلام الوسيط .

بالمقابل ، فإن الغنوصيين الذين وصلت إلينا مصادرهم المباشرة ما كانوا من محترفي الفلسفة ، بل كانوا يستعينون بالفلاسفة ، وبأفلاطون على وجه الخصوص . مع هذا ، فإن استخدامهم لأفلاطون لم

يكن مباشرا . إذ الأفلاطونية التي يضعونها طوع أيديهم مصدرها مجموعة نصوص ، محدودة العدد ومعروضة في صيغة الحكم والأمثال ، فهي والحق يقال أفلاطونية ملخصات ، أي مجموعة آراء مقولبة ؛ وهم إنما اطلعوا عليها بواسطة الكلدان ، أي أنها كانت كتابات فلكية - فلسفية - إشراقية منسوبة إلى زرادشت وغيره من المجوس . كان الغنوصيون في واجهة النشاط الفكري للمسيحية ، ومن هنا الأهمية الكبرى للدور التاريخي الذي قاموا به . ولم يقتصر دورهم الهام ذاك على المسيحية ذاتها فحسب - وهذا موضوع بحث آخر مختلف - بل كان بادئ ذي بدء بالنسبة لجماعة الطرف المقابل ، أولئك الفلاسفة الذين ظلوا في معسكر الهلينية . وقد يبدو رد الفعل العقلاني على المقولة الغنوصية وكأنه شأن روماني استمر لفترة قصيرة وارتبط بشخصية أفلوطين ، غير أن الأفلاطونية الشرقية ، السورية في جوهرها أولاً ، والوراثية لجمبليك من بعد ذلك ، كانت على قدر من الافتتان بالغنوصية ، ولولم يكن ذلك إلا على سبيل تطعيم الخطاب الفلسفي ، ابتغاء زيادة التشويق والمصداقية فيه ، بدمغة من الإشراق والتجلي في " نبوءات كلدانية " ، وبطقوس مساعدة : استحضر الآلهة . وهذا السبيل هو الذي وقر للغنوصية أن تكون في صلب الأفلاطونية الحديثة .

وقامت بالدور نفسه في الإسلام أيضاً ، وهنا لا بد لنا من الرجوع إلى محاولة تحديد صابئة القرآن . فمن بين الفرق الدينية الأربع التي عرفها الرسول وأورد أسماءها⁽¹⁸²⁾ ، يظل الصابئة الفرقة الوحيدة التي لانعلم عنها شيئاً . لقد اختفى ، أو محي ، كل أثر لهم . وفي زمن الهجرة ، كانوا غير معروفين بصفاتهم الصابئية خارج حدود شبه الجزيرة العربية ، وحتى داخلها بالذات كان وجودهم في " المدينة " موضع شك كبير . وذاك أنهم يرد اسمهم مباشرة بعد اليهود في سورة " الحج " ⁽¹⁸³⁾ ، بينما لا يرد ذكرهم إلا في المرتبة الثالثة والأخيرة في سورة " البقرة " بعد المسيحيين⁽¹⁸⁴⁾ ، كما لو أن الرحيل من مكة إلى المدينة غيَّب أطيافهم فلم يعد لهم وجود في الخريطة الدينية لشبه الجزيرة العربية . ولم يكن علماء الحديث والتفسير يعلمون عنهم أكثر مما نعلم . لكن اسمهم كان وارداً في القرآن ، واليقين راسخ في صحة " النص القرآني " الذي لا يأتيه الباطل ، فلا

يمكن ورود هذا الاسم دون أن يكون هناك من ينطبق عليهم ، ولذلك فإنه أطلق " على " ، ثم طالبت به جماعات لا علاقة لها " بالجاهلية " العربية تاريخياً أو اجتماعياً : كمندائيي المستنقعات ، ووثنيي حرّان ، إلخ .

ولا يظل بين أيدينا بالتالي لتحديد صابئة القرآن غير مايقوله القرآن نفسه . وما يقوله يشمل أمرين اثنين : فالصابئة بحوزتهم " كتابات مقدسة " ولهم اسم يعرفون به . وتصنفهم سورة " المائدة " صراحة بين " أهل الكتاب " (185) . ويقتضي هذا أنه كان لديهم آنذاك ، مثل اليهود والمسيحيين ، كتبهم الخاصة بهم ، التي ينتسبون إليها ، وهم من حفظتها ومستخدموها . تلك " الكتب " كانت متميزة كل التمايز عن تلك التي لـ " الذين هادوا " من أتباع موسى ، وعن تلك التي لـ " النصارى " من أتباع الناصري . ونظرا للموقع المتوسط الذي يشغله الصابئة بين اليهود والمسيحيين في سورتي " البقرة " و " المائدة " فلا بدّ أن تلك " الكتب " كانت ذات عناصر مشتركة مع هؤلاء وأولئك . ولا يمكن أن يكون أصحاب مثل تلك " الكتب " آنذاك غير غنوصيين بالمعنى الضيق للكلمة ، وهم فرع عربي مكّي لتيار النسخ المقدس الذي دوّن باللغات اليونانية ، والسريانية ، والقبطية ، مجموعات النصوص التي شهدت عليها الدراسات المسيحية القديمة للمل والنحل ، أو التي تم اكتشافها في تاريخ حديث ، مؤخراً .

وقد أطلق القرآن على هذه الجماعة اسم " أهل الكتاب " ، فهل يسمح لنا هذا أن نمضي شوطاً أبعد في تحديدنا لهم ؟ بكل تأكيد لا بد لنا من التحفظ بعد فشل جميع محاولات التحديد انطلاقاً من اشتقاق الاسم (186) . فهذا هو هيارب وقد زيّن له ، بعد عشرات الافتراضات التي سبق تقديمها ، أن يضيف افتراضاً جديداً ، لم يكن أكثر توفيقاً من كل ما سبقه (187) . أما الافتراض الذي سوف أعرضه الآن فمستنده اشتقاق معروف منذ فترة طويلة ، لكنه ظل دون تفسير صحيح فأهمله النقد .

في عام 1649 قدم المستشرق الإنكليزي الكبير ادوار بوكوك Edward Pocock فرضية مفادها أن " صابئ " مشتقة من العبرية " صبا " بمعنى : جيش أو فرقة ، وأن الجمع باللغة العربية " صابئة " و " صابئون " لا تدل على " عسكريين " أو " جنود " وإنما

على عبدة " صبا هسمايم " أي " جيش السماوات " (188) . وطبعاً فإن بوكوك وأولئك الذين من بعده شاركوه وجهة نظره ، وأخص منهم غوليوس ، وهيد ، ووال ، وهيرش ، وسومر Hirsch ، Sommer ، Golius ، Hyde ، Wahl (189) ، ماكان بإمكانهم فهم مثل هذا الاشتقاق الذي يجعل من الصابئة " exercitus caeli cultores " إلا من خلال ماجاء في الأعراف العربية التي جمعها ميمون ، مصدر المعلومات الوحيد المتوفر آنذاك ، تلك الأعراف التي كانت تصف الصابئة بأنهم : وثنيون من عبدة الكواكب . وكان التعبير التوراتي الذي صدر عنه اسمهم يقوي لدى بوكوك اقتناعه بصحة ماجاء به ميمون بصددهم ، وحقيقة عبادتهم للكواكب ، مشخصة وروحانية . وكان من الصعب على بوكوك تفادي مثل هذا الخطأ في التفسير في زمن كان من المتعذر فيه الوصول إلى المصادر التي استقى منها ميمون معلوماته ، بل وكان الأمر صعباً حتى فيما بعد ، نظراً لغياب كل تاريخ نقدي للأعراف المتحدثة عن الصابئة . ومثل هذا التاريخ النقدي لم يبدأ ، في واقع الأمر ، إلا مع هيارب ، منذ قرابة خمسة عشر عاماً !

إن الاشتقاق الذي اقترحه بوكوك لا غبار عليه فهو صحيح ، غير أن ما يستخلصه بوكوك منه مغلوط . فالمصدر التوراتي العبري، الذي تمثل كلمة " الصابئة " الكتابة المقابلة باللغة العربية ، لا يدل على أن تلك الجماعة هم من عبدة الكواكب ، وإنما يدل على أنهم من أتباع الجيوش السماوية أي " القوى أو الملائكة :

" στρatia. δύναμεις . äγγελο " كما في النصوص LXX . ألا فإن إبيفان الذي عرف الغنوصيين التاريخيين دون وساطة أو نقل أشار إلى أنهم يطلق عليهم ، من بين أسماء أخرى اسم : στρatia(1)tlkoi (190) . ولا يعني هذا الاسم أنهم "عسكريون" (191) ، بل هم الجنود stratiai أي أنهم أولئك الذين بين الله وبين هذا العالم السفلي يقومون بتأمين دخول الميلشيات السماوية من الملائكة أو القوى الخفية ، تأكيداً أكثر وأكثر على تعالي الله علواً مطلقاً (192) . وهكذا فعبيرية النصوص LXX التي انتقلت بالاسم الذي نقله إبيفان ، والتوراتية العبرية ، التي انتقلت بالاسم الذي نقله القرآن ، هما على

ارتباط متين ويشكلان كلاً واحداً . والصابئة القرآنيون ، المقابل العربي للتسمية الإغريقية Stratotiques ، ليسوا بالتالي إلا الغنوصيين بالمعنى الدقيق ، دون زيادة أو نقصان .

وها هنا تتوضح ثلاثة أمور جوهرية تشرح ظهور القرآن كتاباً وعقيدة . فالطابع الإلهي للنص الموحى به في حالة تجلٍ ، وفكرة تعالي الله علواً مطلقاً ، ثم فكرة دمج يسوع بالروح القدس ، هي المقولات الثلاث لنضال الغنوصية التاريخية⁽¹⁹³⁾ ، وهي التي تؤلف الإرث الغنوصي المباشر في القرآن . وحسب كل الدلالات الظاهرة ، فقد عرف الرسول قبل الدعوة أولئك الغنوصيين وعلم أن لديهم "كتاباً" ، وتم له ذلك في الوسط المكي وفي علاقاته مع عائلة خديجة بنت خويلد . ولهذا جاء تصنيفهم بحق ، داخل بيئتهم التي عاشوها دائماً ، بين اليهود والمسيحيين ، بما هم من " أهل الكتاب " وكانوا كذلك في واقع الأمر ، وهو ما تشير إليه الأعراف عن الملل والنحل والكتابات المكتشفة .

وبين أيدينا شاهد آخر من إيفان نفسه عن وجود نشاط غنوصي ، في نهاية القرن الرابع من حول الطائفة اليهودية - المسيحية في منطقة الكعبة ، ويدلنا هذا الشاهد على أرجحية الاستمرار التاريخي للغنوصية التاريخية السورية حتى شبه الجزيرة العربية ، حيث قدر للإسلام أن يولد فيما بعد .⁽¹⁹⁴⁾ فأولئك الذين أطلق إيفان عليهم اسم : " القادة Archontiques " ⁽¹⁹⁵⁾ ، وهو شكل جديد لاسم " Stratotique الجنود " الذي نحتة هو نفسه لأداء ما يحتاجه برنامج دراساته الدينية المتنوعة⁽¹⁹⁶⁾ ، كان لديهم السمات نفسها على صعيد الكتابات المقدسة والعقائد ، تماماً مثل الغنوصيين الذين عرفهم عندما كان في مصر ، أو الذين اكتشفت نصوصهم في مصر .⁽¹⁹⁷⁾ وعليه ، فهؤلاء الغنوصيون الذين سماهم " قادة " والذين تربطهم بغنوصيي مصر وشائج نوّه إليها هو نفسه ،⁽¹⁹⁸⁾ كانوا نشطين في شبه الجزيرة العربية ،⁽¹⁹⁹⁾ حوالي عام 370 : وهو يورد أماكن وجودهم ، وكتبهم ، ورؤساءهم ، والمحيط الذي يعيشون فيه ، وتنقلاتهم جيئة وذهاباً .⁽²⁰⁰⁾ والوسط الذي كانوا يعيشون داخله هو نفسه ماجاء محمد فيما بعد صدى له . وانتقالهم من الأطراف الشمالية

لشبه الجزيرة العربية إلى مدن الجنوب التجارية لا بد أنه تأكد خلال القرن الخامس ، حين جعلت حمية الرهبان والقساوسة حياتهم أمراً مستحيلاً في شرقي الأردن . وأما الاسم الذي أطلقه القرآن عليهم ، أعني " الصابئة " ، فما كان سوى النعت الذي كان يسمهم به رفاقهم السابقون في الدين من يهود فلسطين . وكان من الطبيعي بين المسيحيين الناطقين باليونانية أن يتحول اسمهم فيصبح : " Stratiotiques ، الجنود " ، وحتى لا يكون إيفان من المقصرين في هذا المضمار ، حول الاسم وجعله Archontiques ، القادة " . وعلى غرار اسم المسيحيين : " النصارى " ، فقد تعربت الكلمة في لغة القرآن . " وكما أقول يكون . et cum dicto res " .

مختصر مفيد

المواقف النقدية لكل من مرغليوث ، وبدرسان ، وهيارب بخصوص مقولات كولسن لا يمكن أن تؤدي إلى توضيح اللغز الصابئي توضيحاً متبصراً في النص القرآني وفي حرّان . ومن طرف ثانٍ ، فإن ميرهوف يتناوله لنهاية الفلسفة اليونانية أدخل ذلك اللغز في سلسلة المؤسسات الفلسفية التي انتقلت من اليونان إلى العرب . لكن هذه المسائل تتطلب بؤرة جديدة للبحث النقدي القائم على الدقة التاريخية وعلى الفحص الجديد للأمور الجلية الثابتة . وأما النتائج الكبرى لتحقيقات ابن أبي أصيبعة والكندي ، ثم المسعودي على وجه التخصيص ، الوحيد من الكتاب الذي زار حرّان ونقل لنا نقشاً آرامياً مأخوذاً من الجزء الأول من كتاب " السيبياذ " كما تناقلته الأعراف ، فهي على الوجه التالي : البيت الذي زاره المسعودي والمحفور على مدقة بابه النقش المذكور كان " أكاديمية أفلاطونية " . وكانت هذه الأكاديمية من مبتدأها إلى منتهاها هلينية ، أي وثنية (صابئية بالمعنى العريض للكلمة) . وبفضل ثنائيتها اللغوية وموقفها الثقافي الاجتماعي ، كانت هذه الأكاديمية الوحيدة التي احتضنت منفيي أثينا بعد الاتفاق بين كسرى أنوشروان وجوستنيان . وفيها دوّن سمبليكيوس شرحه لكتاب : " Enchiridion " . وكان المسعودي والكندي الكاتبين العربيين الوحيدين اللذين بدّدا بكل وضوح الخلط بين الديانة الحرّانية و " الحكمة " في القراءات المدرسية لأفلاطون والتي قامت بدورها كما هو شأن المدارس اليونانية ، أي ، استناداً إلى " السيبياذ " أولاً ، ومن ثم " بارمنيد " . أما النصوص القبطية الجديدة التي عثر عليها في " نجع حمّادي " فتشهد على الأرجح بوجود النظام نفسه لدى الغنوصيين ، لكنه يقتصر هذه المرة

على عرف كتابي عام معروض في موجز من الحكم المأخوذة من
" السبيباد " و " المثل " ، و " بارمنيد " . وبقي اسم " الصابئة " في
القرآن ، وهو الكتابة المعربة للقب الذي أطلقه يهود فلسطين على
الغنوصيين بالمعنى الدقيق للكلمة، وعرفه اليونان صراحة عن طريق
Epiphanius Constantiensis (إبيفان ، وقد توفي في
عام 403) .

الهوامش

- 1 - المراجع موضحة في : Répertoire géographique des "textes cunéiformes" الجزء السادس : G.F.DEL MONTE ، و J.TISCHLER تحت عنوان Die Orts-und Gewässernamen der hethitischen Texte , Beiheft Zum Tübinger Atlas des Vorderen Orients - ص 90/ ، Wiesbaden 1978 ، (مجموعة B ، رقم 7)
ومن أراد الإحاطة بنظرة شاملة ، عليه بدراسة : J.N. POSTGATE
وعنوانها " حرّان " وذلك في مجلة :
Reallexikon der Assyriologie und der Vorderasiatischen Archäologie
الجزء الرابع (برلين - نيويورك) ، وذلك لأعوام 1972 - 1975 ،
الصفحات 122 - 125 ، وكذلك مقالة " الحوريون " للكاتب E . LAROCHE في : " معجم الميثولوجيات والأديان ، في المجتمعات الكلاسيكية والعالم القديم " ، من مطبوعات : Y. BONNEFOY ، الجزء الأول ، باريس 1981 ، الصفحات / 527 - 529 / ، وللكتاب نفسه : " الديانات الآسيوية ، تعريفاً وإشكالية " في المصدر السابق ، الصفحات / 95 - 97 .
2 - بصدد واقعة عام 670 هـ . / 1271 م . انظر شهادة المؤرخ الحلبي ابن شدّاد (613 - 684 هـ . / 1216 - 1285 م .) ، وهي من ترجمة D.S. RICE ، ودراسة : " حرّان الوسيطية " في مجلة " Anatolian Studies " العدد 2 (1952) ، ص 45 / ،

وكذلك : "المزار المسلم في حرّان A Muslim Shrin at Harran" ،
في : " نشرة عن مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، Bulletin
of the school of Oriental and African Studies ، العدد
17 ، (1955) . الصفحات / 445 - 447 / . وكانت جيوش
هولاكو في واقع الأمر قد وطأت أرض حرّان في نهاية عام 657
للهجرة . بصدد هذا الاحتلال ، انظر شهادة المكين بن العميد التي
نشرها Cl.CAHEN في : " نشرة الدراسات الشرقية ،
" Bulletin d'Etudes Orientales " العدد 15 (1955-1957) ،
والصادرة في دمشق 1958 ، ص / 171 / .

3 - بصدد هذا الإله القمري (سين - القمر) ، انظر في نهاية
المطاف دراسة E.LAROCHE : " الآلهة القمريون في الأناضول ،
Divinités lunaires d'Anatolie " وهي في مجلة " تاريخ
الاديان " Revue de l'Histoire des Religions " ، العدد 148 ،
(1955) ، الصفحات 1 - 24 ، وخاصة الصفحات 7-9 . وقد
جمعت دراسة تاريخية موجزة عن الإله سين (القمر) في حرّان ،
بجهود S.LLOYD و W.BRICE ، وهي بعنوان " حرّان " في
مجلة : " دراسات أناضولية ، Anatolian Studies " ، العدد الأول
(1951) ، الصفحات / 87-96 / ؛ ويجب استكمال هذه الدراسة
بالشهادات التي أوردها D.S.RICE . في دراسته : " حرّان
الوسطية ، Medieval Harran " ، ص / 43 / .

4 - حول هذه الزيارة ، انظر J.BIDEZ : " حياة الأمبراطور
جوليان ، la vie de l'Empereur Julien " ، باريس 1930 ، ص
/ 318 / مع المراجع المشار إليها في ص / 405 / (الفصل السابع
عشر ، الهامشان 11 - 12) . ولقد اكتفى بيدز بالمصادر الوثنية ،
أما من أراد التعرف على أصداء هذه الزيارة من الجانب المسيحي ،
فعليه بالكاتب THEODORET DE CYR في : " التاريخ الكنسي
Historia ecclesiastica " ، الجزء الثالث 26 ، الطبعات 1 - 3 .
بالإضافة إلى برمنتيه شيدفيلر Parmentier - Scheidweiler
(دراسات في الحضارة الإغريقية GCS ، العدد 44 ، برلين 1954 ،

ص / 205 / والصفحات / 5 - 18 / . وهناك مصادر يونانية مسيحية ، متأثرة بتيودوريه ، يوردهما ف . فيزباخ F.WEISSBACH ، ومقالة " حرّان Kárrai " لدى بولي- فيزوفا PAULY-WESSOWA ، في : " الموسوعة الحقيقية Real Encyclopädie - ، الجزء 20 . شتوتغارت 1919 ، مجموعة 2016 .

هذا ، ويرى تيودوريه في زيارة جوليان لحرّان نية مبيّنة بوضوح للحط من شأن مدينة أورفا المجاورة ، التي كانت مسيحية الديانة ، ومن هنا الرابطة السببية بين زيارة الامبراطور للمعبد الوثني وبين موته الذي وقع بعد شهرين من تاريخها ! ومما يثير ، على أي حال ، أن نرى بعد عشرين عاماً من موت جوليان شخصية ثانية ، على درجة مماثلة من الورع ، لكن من الجانب الآخر ، ألا وهي الحاجة إيجيريا Egeria ، تعرّج على حرّان (Carrhae باللاتينية) ، وذلك بغية تقديس " القديسين " التوراتيين ، ابراهيم ورفقة ، وزيارة مطران الحي المسيحي . انظر كتاب : " رحلة إيجيريا Itinerarium Egeriae ، ص XX ، الطبعات 1-4 . وفرانسشيني فيبر Franceschini-Weber في : " Corpus Christianorum " ، المجموعة اللاتينية ، الجزء 175 . مكتبة ترنهوت 1965 Turnhout ، الصفحتان 62 - 63 . وتقع زيارة جوليان في أواسط شهر آذار / 363 م . أما ب . مرفال P.Maraval ، الناشر الأخير لـ " رحلة إيجيريا " ، فيحدّد تعريج إيجيريا على حرّان في يومي 22 و 23 نيسان / 384 م . ومن أراد فهم تعليل هذا التحديد فعليه بـ " المصادر المسيحية ، Sources Chrétiennes " الجزء 296 باريس 1982 ، الصفحات / 27 - 39 / .

5 - الكلمة باللغة العربية : صابئون وصابئة . وسوف نكتب هذه الكلمة بالفرنسية دائماً : " Sábïens " بما في ذلك الترجمات التي سوف أقتبس منها ، وذاك بغية تجنب خلط هذه الكلمة مع " السبئيين Sabéens " وهي تطلق حصراً على أهالي اليمن السعيد (باللغة العربية : سبأ أو سبا) وليس لهذه الكلمة أي ارتباط صوتي مع الكلمة الأولى .

6 - " الطبعة المطابقة لألواح نجع حمّادي " ، في مجلدين ، ليد
Leyde ، 1972 - 1979 ، النصوص الغنوصية المأخوذة من
مجموعة القاهرة ، نوردها بالصفحات والأسطر كما هي في المجلدين ،
مترجمة في الباب الثالث من مداخلتنا الحالية . أما النصوص
المترجمة والمشروحة في : " المصادر الغنوصية والمانوية ،
Sources Gnostiques et Manichéennes [اختصارا SGM] ،
الجزء الأول : " كتابات غنوصية ، ألواح برلين Ecrits
Codex de Berlin ، gnostiques " ، باريس 1984 ، فنوردها
ضمن فقرات تلك الطبعة . وبصدد الرسالة المجهول مؤلفها : " ألواح
بروسيانوس Codex Brucianus " ، فأحيل القارئ إلى الصفحات
والأسطر كما هي واردة في طبعة س . شميدت C.Schmidt :
" Texte und Untersuchungen " الجزء الثامن ، ليبزغ 1892 ،
كما أحيله إلى صفحات وأسطر طبعة شارلوت أ . باين Charlotte
A . BAYNES ، كامبريدج 1933 .

7 - من أراد نظرة إجمالية تبعاً للتصور الأدبي للمجموعة فلينظر م .
تارديو ، في مقالته : " الغنوصيون (مجموعات) ، الموسوعة
الشاملة ، الملحق - collections Gnostiques (Encyclopaedia Universalis)
الجزء الأول ، باريس 1980 ،
الصفحات / 673 - 675 .

8 - انظر على وجه الخصوص ج . بيبان J.Pépin : " حول أن
الإنسان ليس إلا النفس . معانيات في العرف المنقول عن ألسيبياد " ،
الكتاب الأول ، Que l'homme n'est rien d'autre que son
premier âme . Observations sur la tradition du
Alcibiade . " ، مجلة الدراسات الإغريقية Revue d'Etudes
Grecques ، العدد 82 (1969) ، الصفحات / 56 - 70 / ، وهي
أفكار تستعاد موسعة في : " الأفكار الإغريقية حول الإنسان والله ،
Idées grecques sur l'homme et Dieu " ، باريس 1971 ،
الصفحات / 55 - 203 . / وب . بواينسي P.BOYANCE في :
" شيشرون وأقسام الفلسفة ، Cicéron et les parties de la
philosophie " ، " مجلة الدراسات اللاتينية ، Revue

d'Etudes Latines " ، العدد 49 ، (1971) ص / 139 / و ب .
كورسيل P . COURCELLE : " اعرف نفسك بنفسك ، من
سقراط إلى القديس برنار ، de Connais - toi toi - même
Socrate à Saint Bernard " ، الجزء الأول ، باريس 1974
الصفحتان / 33 - 34 / ، وقد ردّ الاثنان المقولة المركزية للمؤلف
التي تشرح بـ " وصلة " رواقية الموقف الذي تبناه شيشرون حول
مسألة تحديد خير الإنسان بـ " الروح " فقط - animus - في كتابي :
" Tuséulanes " و " حلم سيبون Songe de Scipion " . ويتعلق
الملف الموسّع الذي جمعه ببيان بمجمل انتقال العقائد في " السيبيا " ،
ويعطينا هنا من الرجوع إلى تلك الشهادات التي بوّبت ، ومحصّست ،
وشرحت مناسباتها بكل عناية .

9 - ج . هيارب ، " التحليل النقدي للأعراف العربية حول صابئة
حرّان

"Analyse critique des traditions arabes sur les
Sabéens Harrániens" ، إيسالا Upsala 1972 . ويطيب لي
التعبير عن امتناني للمؤلف لتكرمه علي بإيصال عمله إلي فور
صدوره فوقر علي بذلك الوقت الكافي للتفكير على مهل بالمسائل التي
طرحها وناقشها بقوة .

10 - د . كولسن : " الصابئون والمذهب الصابئي "
Die Ssabier und der Ssabismus " في مجلدين ، سان
بترسبورغ 1856 (ونشير إليه كولسن I و II) . على الرغم من
تاريخه ومن بعض أقسامه التي تقادم عهدا (خصوصا ، الكتاب
الثاني من الجزء الأول الذي يبحث فيه " المفهوم الأفلاطوني الحديث
للوثنية لدى علماء ما بين النهرين الوثنيين في عصر الخلافة " ،
الصفحات 677 - 802) فهذا الكتاب الضخم + XXX11 + 920
825 صفحة لا يستعاض عنه كأداة عمل تمكن من الوصول إلى
المصادر التي جمعت وشرحت في الجزء الثاني . وما أجمل أن يقوم
باحث بتعقب الآثار التي خلفها كولسن في الأجيال اللاحقة ، حيث
سيكون بالإمكان توضيح العديد من المواقف التي سيطرت بصدد
العلوم الدينية والاستشراق من أواسط القرن التاسع عشر إلى يومنا

هذا ، حتى ، بل خصوصاً ، عندما لا يظهر اسم كولسن . ولكن كتاب هيارب لا يقوم بهذا التاريخ ، وإنما يختتمه باعتباره " تحليلاً نقدياً " شاملاً ونهائياً .

11 - 2 ، 62 ، 5 ، 69 ؛ 22 - 17 . وهذه المقاطع الثلاثة موضع درس في الباب الرابع من مداخلتي .

12 - لم يأخذ هيارب بالحسبان خبر " المغني " لمؤلفه عبد الجبار ، وهو صادر ضمن الجزء الخامس من طبعة القاهرة (1965) . وقد ترجمها ودرسها ج . مونو G . MONNOT : " الصابئة والوثنيون حسب عبد الجبار " ، مجلة MIDEO ، (العدد 12 1974) . الصفحات / 13 - 43 .

13 - هيارب ، الفصل الخامس ، الصفحات / 96 - 126 .

14 - هيارب ، الصفحات / 101 - 105 / ؛ النص اليوناني للكاتب إبيفان ترجمه بأكمله وعلق عليه م . تارديو في : " إبيفان في وجه الغنوصيين - Epiphane contre les gnostiques " ، مجلة Tel Quel ، العدد 88 (1981) الصفحات / 64 - 91 .

15 - هيارب ، الصفحات / 120 - 124 / . يستمد المؤلف مرجعه من القسم الرابع من التاريخ اليعقوبي الذي أطلق عليه : " داني تل محرة Denys de Tell - Mahré الذي نشره وترجمه ج . ب . شابو J . B Chabot في عام 1895 ، " مكتبة مدرسة تطبيق الدراسات العليا في العلوم الفيلولوجية والتاريخية ، Bibliothèque de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes , Sciences Philologiques et Historiques الجزء 112 ، الصفحات / 68 - 70 / . وهذا التاريخ هو في حقيقته تاريخ يعقوبي . لكن مؤلفه مجهول (وتنقص منه الصفحات الأولى) . أما نسبته إلى داني ، وكانت من اقتراح أسماني Assemani ، فهي نسبة مغلوبة كما أقر بذلك شابو نفسه . انظر القسم الأول من طبعة هذا التاريخ في مجلة CSCO ، الجزء / 91 / بعنوان : Chronicon pseudo - Dionysianum vulgo dietum باريس 1928 ، بالإضافة إلى : " الأدب السرياني Littérature syriaque " ، باريس 1934 ، الصفحتان / 89 - 90 / . أما كلود كاهن CAHEN . C1 في

دراسته : " الضرائب ، والملكية ، والنزاعات الاجتماعية في أعالي ما بين النهرين في عهد أوائل العباسيين Fiscalité , Propriété et au antagonismes sociaux en Haute-Mésopotamie temps des premiers Abbassides " في مجلة " أرايكا Arabica " العدد الأول (1952) ، الصفحات / 136 - 152 / ، والتي عاد إليها مكررة دون تغيير في كتابه : " الشعوب الإسلامية في التاريخ الوسيط Les peuples musulmans dans l'histoire médiévale " ، دمشق 1977 ، الصفحات / 405 - 422 / فهو بالتأكيد الوحيد ، في يومنا هذا ، الذي ينسب ذلك النص إلى داني .

16 - بإصرار لا يتزعزع ، حتى بعد صدور كتاب هيارب ، أعاد ك. رودولف K . RUDOLPH عرض تخططات كولسن : انظر " Diema " الجزء الأول ، غوتنغن 1960 Göttingen ، وخصوصاً الصفحات / 36 - 41 / والصفحتان / 236-237 / ، والجزء الثاني ، غوتنغن 1961 ، ص 94 ، الحاشية (1) ، والصفحتان / 117 و 380 / . " الديانة المندائية La religion mandéenne " في مجموعة : " تاريخ الديانات ، موسوعة الثريا ، Histoire des religions, Encyclopédie de la Pléiade " الجزء الثاني ، باريس 1972 ، الصفحتان / 501 - 502 / .

“ Antike Baptisten . Zu den Überlieferungen über frühjüdische und christliche Taufsekten Sitzungsberichte der sächsischen der Wissenschaften Zu Leipzig Philologisch - historische Klasse , t. 121 / 4 , 1981 , P . 17 , “ Der mandäische Diwān der Flüsse “ Abhandlungen der sächsischen Akademie der Wissenschaften zu leipzig , philologisch - historische Klasse , t . 70/ 1, 1982 p . 5 et 7 .

بالمقابل ، يسير رودولف على خطا كولسن بكل وعي حين يقرّ بعدم وجود أية علاقة بين الحرّانيين والمندائيين . انظر :

" Die gnosis " , Leipzig 1977 , p . 101 n . 2

وينضوي رودولف في هاتين النقطتين تحت لواء كولسن ؛ وحبذا لو أنه نوّه أيضاً إلى ما جاء لدى أ . س . دروير E . S . Drower في : The Mandaean of Iraq and Iran . Their Cults, Customs , Magic Legends and Folklore (1937), Haran Gawaita : Leyde 1962 , P . xvi - xviii الرجوع إلى :

(éd . E. S . Drower , Studi e Testi 176 , Vatican 1953, انظر أيضاً : , BSOAS , 25 , 1962 p . 439)

ويجدر الرجوع إلى تسلسل عرضه التاريخي اعتباراً من سياق دراسة الفرق الدينية باللغة العربية في القرنين الرابع والخامس الهجريين .
17 - وقد جرى تدعيم ذلك العرض لدى هيارب ، الصفحات / 10 - 34 / . وأضيف أن س . هـ . تقي - زاده في " المقالات " (الطبعة الأولى) ، الجزء السادس ، طهران 1978 ، ص . / 51 / ، الحاشية / 3 / ، كان يقر بأن المعادلة : صابئة = مندائيون تثير " جدلاً كبيراً much controversy " . والنص المنشور في " المقالات " تاريخه 1937 !

18 - كولسن ، I ، الصفحات / 110 - 137 / ؛ هيارب ، ص / 11 / .

19 - كولسن ، I ، الصفحات / 139 - 157 / ؛ هيارب ، الصفحات / 3 - 10 / .

20 - هيارب ، الصفحتان / 11 - 12 / .

21 - هيارب ، الصفحتان / 17 - 18 / .

22 - هيارب ، ص / 28 / .

23 - هيارب ، الصفحات / 16 - 24 / .

24 - A .SPRENGER , Das Leben und die Lehre des Mohammad nach bisker grösstentheils unbenutzen Quellen برلين 1869 الصفحات 37 - 47 ، والطبعة الأولى ، الجزء الثالث ، برلين 1865 ، ص / 498 / ، الحاشية / 1 / .

- 25 - هيارب ، ص . / 24 .
- 26 - WELLHAUSEN, Reste arabischen Heidentums
الطبعة الثالثة ، برلين 1961 ، الصفحات 236 - 242 ؛
هيارب ، الصفحات 7 ، 13 - 14 ، 16 ، 30 - 34 .
- 27 - كولسن ، I ، الصفحات 470 - 471 ، 624 - 676 .
- 28 - الاستخدام المكثف يميناً ويساراً لكلمة " غنوص " ، مثلاً في
الصفحة 32 حيث يتحدث عن " الصابئة - الغنوصيين في حرّان "
وفي الصفحات 8 - 10 حيث ينتقد دون كبير اقتناع فكرة اقتباس
الاسم ، وهذا ما لم يسهّل التمييز بصدد أولئك الذين انقادت الأعراف
لخبط الأوراق حولهم بتواطؤ الحرانيين أنفسهم .
- 29 - انظر حول هذا الأمر اللهجة العاطفية التي ظهرت لدى ثابت بن
نرة في مقطع نقله بربروس Barhebraeus ، وأعاد إيراده هيارب ،
ص . / 31 .
- 30 - هيارب ، الصفحتان / 19 و / 24 .
- 31 - هيارب ، ص . / 21 .
- 32 - يتعلّل هيارب بورود هذا التمييز لدى الشهرستاني ليخلص ، عن
خطأ ، إلى قوله إن مؤلف " الملل " : " يستخدم كلمة صابئ بمعنى
غنوصي " ص . / 121 .
- 33 - ج . بدرسان : " The Sábians " ، في :
Agab - nám . A volume of Oriental Studies presented
to Edward G. Browne (edd . T . W . ARNOLD et
R . A . NICHOLSON) , Cambridge 1922 , p . 390 - 391
- 34 - التعبير وارد لدى هيارب ، ص / 37 . وأبعد من ذلك بسطور
ها هو يتحدث عن " مروق ثابت " . وأخيراً ، في الصفحة التالية ، ها
هو يتحدث عن " العقائد الهرطقية " .
- 35 - قدم كولسن لائحة عن ذلك ، I ، الصفحات / 546 - 621 .
- 36 - كولسن ، I ، الصفحات / 484 - 488 .
- 37 - يحاول هيارب في الصفحة / 38 / تحليل موقفه بـ " الباطنية " .
والكلمة هذه هي أيضاً ... ملغومة .
- 38 - هيارب ، ص / 39 : " الوثنيون المحافظون " .

- 39 - المصدر نفسه : " علماء حرّان المنشقون في بغداد " ، أي أولئك الذين أطلق عليهم الشهرستاني : " المتكلمون " ؛ ارجع إلى هيارب ، ص / 38 / ، الحاشية الخامسة .
- 40 - هيارب ، الصفحات / 62 - 95 / .
- 41 - هيارب ، الصفحات / 152 - 164 / .
- 42 - انظر أدناه الحاشية / 48 / .
- 43 - حول حياة ومؤلفات ثابت بن قرّة ، انظر بعد كولسن I ، الصفحات / 546 - 567 / و II ، الصفحات I - III و مذكرة : E.WIEDEMANN , " Ueber Tábit b . Qurra , sein Leben und Wirken " في مجلة : physikalisch Sitzungsberichte der medizinischen Sozietát in Erlangen , العددان 52 - 53 (1920 - 1921) . والصدور بتاريخ 1922 ص / 189 /
- 44 - هيارب ، ص / 21 / .
- 45 - هيارب ، ص / 38 / .
- 46 - حسبما أورد ابن شدّاد الخبر فقد اقترف ذلك التدمير يحيى بن الشاطر الذي كان قد عيّن والياً على حرّان أثناء احتلال المنطقة في 474 هـ . / 1081 م . وعيّنه في ذلك المنصب أحد خلفاء السلاجقة ، عقيل شرف الدولة . ارجع إلى : Medieval D . S . RICE " Harrán " ، في مجلة " Anatolian Studies " ، العدد الثاني (1952) ، ص / 38 / ، وص / 82 / . وبصورة أعمّ ، انظر مقالة : " Harrán " FEHERVARI G . في : " موسوعة الإسلام " Encyclopédie de l'Islam الطبعة الثانية ، الجزء الثالث ، باريس - ليد 1971 ، ص / 233 / .
- 47 - النص وترجمته في كولسن II ، الصفحتان / 537 - 538 / (والحواشي في ص / 757 /) ؛ انظر أيضاً هيارب ، ص / 38 / والحاشية رقم / 2 / التي تلفت الانتباه ، عن حق ، إلى أن تلك " الرسالة " لا تتعلق بالبغداديين .

48 - النص والترجمة في كولسن II ، الصفحات 3/ - 14/
 (التعليق في الصفحات 126-56) . والنص المنقول الذي قدمته
 طبعة : Flugel (Leipzig, 1871-1872) ، فقد أعيدت طباعته
 طبعة مريحة في مجلد وحيد في بيروت ، 1398 هـ / 1978 م .
 الصفحات / 442 - 445 / . أما النص النقدي الوارد في
 " الفهرست " ، استناداً إلى مخطوط Chester Beatty Minovi
 (Library 3315 وإلى مخطوط استنبول (ش . علي باشا ، 1934)
 فقد طبعه ر . تجدد R. TAJADDOD وفي الطبعة الثانية
 " توطئة " بقلم M. MINOVI ، طهران 1350 هـ / 1971 م .
 الصفحات / 383 - 385 / . وقد ترجم الخبر الوارد عند الكندي إلى
 الإنكليزية على يد ف . روزنتال Fr . ROSENTHAL
 " أحمد الطيب السرخسي New Haven , American Oriental
 Society " الصفحات / 41- 51/ ، 1943 و كما ترجمه أيضاً ب .
 دودج B . DODGE :

" The Fihrist of al - Nadim " t . 2 , New York ,
 الصفحات / 746 - 750 / . وتظل الترجمة الفارسية الترجمة الممتازة ،
 وهي بقلم R. TAJADDOD الطبعة الثانية ، طهران ، 1346 هـ /
 1968 م . ، الصفحات / 564 - 568 / .

49 - C . B . BARBIER DE MEYNARD;
 " المسعودي ومروج الذهب " ، الجزء الرابع ، باريس 1865 ،
 الصفحات / 64 ، 10- 65 ، 3 / وظهرت الطبعة الأولى لهذا النص
 لدى كولسن II ، الصفحتان / 372 - 373 / (الحواشي ، ص 642)
 وهي غير موجودة لدى هيارب . بالمقابل نجد النص المترجم لدى
 ف . روزنتال ،

" On the Knowledge of plato's philosophy in the
 Islamic world " , " Islamic Culture " , 14 (1940)
 / 409 - 410 / . ويستحق روزنتال ثناء مضاعفاً إذ لاحظ استخدام
 تلك الحكمة في " المروج " و " التنبيه " ، وإذ نوّه إلى السمة الوعظية

للصيغة الأفلاطونية فيها ، لاحقاً ، الحاشية 52 . " المسعودي
ومروج الذهب " , Ch.PELLAT .

50 - الجزء الثاني ، باريس 1965 ، الصفحتان /536 — 537/ ،
الحاشية 1395 (مراجعة لترجمة باربي دوميغار وبافيه دوكورتى) .
51 - في تعليقه على الفقرة 6 من خبر المسعودي ، الجزء الأول ،
ص 501 والجزء الثاني ص 642 .

52 - حول الصيغ اللاحقة للاستعارة الأفلاطونية ، انظر
W. K. KRAAK : " هل بقي أرسطو مخلصاً لمفهومه القائل بأن
النبات يقف ورأسه في الأسفل ؟ " (1942) 10 ، III^e Série ،
Mnemosyne الصفحات / 251 - 262 / . الإستشهادان المأخوذان
من أفلاطون مصدرهما حواران ، وهما تلخيص وعظي للحوارين ؛
بصدد هذا الجنس الأدبي ، انظر روزنتال ، المصدر المذكور سابقاً ،
ص /392/ .

53 - الأدلة اليونانية واللاتينية على هذه الصيغة جمعها J. PEPIN ،
في : " Idées Grecques " (أعلاه ، الحاشية 8) ، الصفحات
/ 55 - 203 / حيث نجد ثبوتاً غنياً بالمراجع . انظر على وجه
الخصوص شهادة جوليان ، وقد درسها بيبان في ص . /107/ وفي
الحاشية /2/ .

54 - كولسن II ، ص . /373/ :

Wer sein (Gottes) Wesen erkennt ,
dererhrt ihn auch

وقد انتقلت هذه الترجمة إلى BARBIER DE MEYNARD ،
المصدر السابق الذكر (أعلاه ، الحاشية 49) ، ص . /65/ .

D.S. MARGOLIOUTH (art . " Harranians " ,
Encyclopaedia of Religion and Ethics , t,6, Edinburgh
1913 , p . 520 b)

وقد ترجمت أيضاً ترجمة مغلوطه :

" Whoso Knows himself is religious " ; S . LLYOD ,
W . BRICE , " Harran " , Anatolian Studies , I (1951)
P . 91

عادا كلاهما إلى هذه الترجمة :

" Who Knows himself is a religious man " .

55 - كولسن II ، ص / 826/ . أما ف . روزنتال ص / 409 a/ فيبدو أنه سار على خطأ Fleischer وترجم العبارة :

" Whosoever Knows recognizes his essence , is divine " .

56 - النص العربي موجود في طبعة . J . DE GOEJE . الصادرة في :

" Bibliotheca Geographorum Arabicorum " الجزء الثامن ، ليد 1894 ، الصفحات / 162 ، 3 - 5 / . والترجمة الفرنسية نجدها لدى B . CARRA DE VAUX ، في كتابه : " المسعودي ، كتاب التنبيه Masoudi, le livre de l'avertissement et de la révision " ، باريس ، 1897 ، ص / 222/ ؛ أما CARRA de VAUX فيترجم العبارة على الوجه التالي : " من يعرف نفسه هو في الحقيقة مشابه لله " . وفي كتاب " التنبيه " تترجم كلمة " heautón " اليونانية الأصل بـ " نفسه " (أي روحه) أما في كتاب " مروج الذهب " فيقال : " ذاته " (أي طبيعته) . والصيغتان كلتاهما تشيران على التوازي إلى " الأنا " . ويتحدث روزنتال في المصدر السابق الذكر له ، ص . / 409/ عن وجود علاقة بين هذا الاستخدام وبين " السيبياذ " (130A - 131A) .

57 - الصفحتان / 161 ، 2 / لدى Goeje .

58 - الصفحات / 161 ، 2-3 / لدى Goeje .

59 - الصفحات / 161 ، 14-15 / لدى Goeje .

60 - الصفحتان / 162 ، 6 / لدى Goeje .

61 - الصفحتان / 162 ، 8 / لدى Goeje .

62 - الصفحات / 162 ، 10-11 / لدى Goeje .

63 - الصفحات / 162 ، 7-8 / لدى Goeje .

64 - الصفحات / 162 ، 8-9 / لدى Goeje .

- 65 - حول استخدام المناظرين لـ " رسالة إلى أنيبون à Lettre Anébon " انظر J. BIDEZ ، " حياة بورفير Vie de Porphyre " ، المطبوع في Gand 1913 ، ص . / 87 / .
- 66 - الصفحتان / 162 ، 5 / لدى Goeje .
- 67 - الصفحتان / 162 ، 5 / لدى Goeje .
- 68 - الصفحتان / 31 ، 15 / لدى Couvreur . وحول المؤلف ، انظر :
- L.G. WESTERINK ، " Anonymous Prolegomena to Platonic Philosophy " ، Amsterdam 1962 ، p. X.
- 69 - ص 125 (= 5,199) ، Westerink ، وحول الكاتب ، انظر ،
- WESTERINK ، " Anonymous Prolegomena " ، p. X111 - XX.
- 70 - ارجع إلى P.COURCELLE ، المصدر السابق ذكره (أعلاه ، الحاشية 8) الصفحات / 83 - 95 ، 165 - 177 /
- 71 - Barbier de Meynard 10 ، p. 64 ، T. 4 .
- 72 - § 1395 ، p. 536 ، op . cit . supra 50 .
- 73 - p. 64 ، n . 49 ، op . cit supra .
- 74 - كولسن II ، ص / 372 / .
- 75 - كولسن I ، الصفحتان / 501 ، 502 / .
- 76 - لدى كولسن II ، الصفحتان / 29 ، 30 / ، وفي طبعة TAJADDOD ، الصفحات / 24 - 26 ، 387 / .
- 77 - كولسن I ، ص / 501 / .
- 78 - Pellat T.4,p. 64,7, Barbier de Meynard § 1394-
- 79 - " حكماء " ، وهي واردة في الصفحتين Barbier de Meynard ، 8 ، 64
- 80 - ترجمة Pellat ، الفقرة 1394 .
- 81 - الفقرة 1395 لدى Pellat .
- 82 - الفقرة 1396 لدى Pellat .

83 - حسب D. S. MARGOLIOUTH ، المصدر السابق ذكره في الحاشية / 54 أعلاه / ، ص 520 b / ، فإن الاسم العربي لهذا المعبد مصدره يوناني θεά μεγάλη . ويخلف MARGOLIOUTH خطأ يثير الغيظ بين هذا المعبد وبين المكان الذي كان النقش ماثلاً فيه .

84 - الفقرة 1392 لدى Pellat .

85 - الفقرة 1397 لدى Pellat .

86 - انظر لاحقاً رقم / 108 / .

87 - الصفحات / 121 ، 19 ، 122 ، 6 / لدى Goeje .

88 - الصفحتان / 115 ، 5 / لدى Goeje .

89 - M.MEYERHOF, " Von Alexandrien nach Bagdad .

Ein Beitrag Zur Geschichte des philosophischen und medizinischen Unterrichts bei den Arabern " , dans : " Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften " , Philosophisch-historische Klasse , 1930 , p. 407 ;

أهم ما في هذه المادة الإخبارية عاد الكاتب إلى تناوله في : " نهاية مدرسة الاسكندرية حسب بعض الكتاب العرب ،

la fin de l'Ecole d'Alexandrie d'après quelques auteurs arabes وهي دراسة نشرت في وقت واحد ، في :

" Archeion " ، العدد / 15 / (1933) ، الصفحات / 1 ، 15 / ، وفي : " Bulletin de l'Institut d'Egypte " العدد ، (1933)

15 الصفحات / 109 ، 123 / . ومن شاء الاستزادة من المراجع

يرجع إلى : J.Van Ess, " Jüngere orientalistische

Literatur Zur neuplatonischen Überlieferung im Bereich Islam " , dans : " Parusia , Studien Zur

Philosophie Platons und zur Problemgeschichte des Platonismus . Festschrift für Johannes Hirschberger (éd.

OK. FLASCH) , Frankfurt / Main , 1965 , p. 349 .

الفرضية التي استمدتها ميرهوف من خبر المسعودي حول مراحل انتقال المؤسسات التعليمية ، وحول استمرارية أعمال " مدرسة الاسكندرية " حتى أواسط القرن الثامن ، نقلها باعتبارها حقيقة ثابتة H.D.SAFFREY ، في دراسته التي تحمل عنوان : " المسيحي جان فيليبون واستمرارية مدرسة الاسكندرية " ،

Le chrétien Jean Philipon et la survivance de l'Ecole d'Alexandrie , " Revue des Etudes Grecques " , 67 (1954) وقد ورد في ص / 409 / : " مدرسة الاسكندرية تلك حافظت بعد الفتح العربي على تعليم دائم لأرسطو . وهي لم تهاجر إلى انطاكية إلا في عام 718 ، ونحو بغداد في عام 850 " ! وهذا التأكيد الجازم انتقل حرفياً إلى W.WOLSKA في كتابه "La topographie chrétienne de Cosmas , Indicopleustés. Théologie et science au VI^e Siècle , باريس 1962 ، الصفحتان / 149 , 150 / مثل هذه الاستنتاجات البائرة أقلت إلى حد ما P. LEMERLE ، في كتابه : Le premier humanisme Byzantin ، باريس 1971 ، ص / 25 / . لكنه رغم تشككه بجديّة " التركيب الحصيف " لدى ميرهوف ، يوافق على أن " مدرسة الاسكندرية كانت ما تزال ضاحجة بالحياة إبان الفتح العربي " . أما L. G. WESTERLINK في : Anonymous " Prolegomena " فقد تجنب بحذر الشهادات التي جاء بها ميرهوف ، لكنه يؤكد رغم هذا ، أن الفلسفة الأفلاطونية : Was taught publicly as late as the 7th century (P.XXV) ويستند في ذلك إلى حاشية في رسالة خيميائية لا يبدو أنه يثق بها كل الثقة .

90 - الصفحتان / 121 , 20 / لدى Goje .

91 - الصفحتان / 122 , 1 / لدى Goeje .

92 - انظر : " H.D.SAFFREY - L.G. WESTERINK ،

Proclus , Théologie platonicienne" t. 1, Paris 1968 , p. X11 - XXVI

(Plutarque-Syrianus - Proclus) .

- 93 - ارجع إلى :
L.G.WESTERINK, "Anonymous Prolegomena",
p.X- X111.
- 94 - الصفحتان / 122 ، 3 / لدى Goeje .
- 95 - الصفحتان / 122 ، 3 / لدى Goeje .
- 96 - M . MEYERHOF , " Von Alexandrien nach Bagdad ",
الصفحتان / 408 - 409 / و ص / 428 / . بعد الانتهاء من عرض
نصّه باللغة الفرنسية خلال مداخلة في " معهد مصر Institut
d'Egypte " ها هو مير هوف يضيف : " أدرك أن توثيقي لهذه
الأطروحة التي تربط الدراسات الفلسفية لاسكندرية مع دراسات بغداد
هو توثيق ضعيف ؛ لكنني أحمل ما أزال الأمل بأن أعثر مستقبلاً على
توثيق أمتن " ، (في : " Archeion " ، العدد 15 ، 1933 ،
ص 15 =
(" Bulletin de l'Institut d'Egypte " , 15, 1933 , p . 123)
وكم كان يجدر بسافري وغيره ، بعد هذا التأكيد ، التزام جانب الحذر
والتأني .
- 97 - القاهرة 1884 ، A . Müller , 29 - 21 éd. T.I, p. 116,
أما مير هوف فلم يترجم سوى القسم الأول من الخبر المتعلق بعبد
الملك بن أبجر الكناني " Von Alexandrien nach Bagdad " ،
p . 407.
- 98 - A . Müller. - الصفحات 26 - 25 ، 116
- 99 - ارجع إلى :
- " L .G.WESTERINK , "Anonymous Prolegomena , p
. XXV n . 94
Philosophy and Medicine in Late Antiquity " ،
وخصوصاً " 177 - 169 p . (1964) ، 51 Janus ،
بالإضافة إلى " عبد بدوي " : " انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم
العربي ،

La transmission de la philosophie grecque au monde arabe " , Paris 1968 , p . 113 ; G . STROHMAIER ,
في مقالته : " حنين ابن اسحق العبادي - Hunayn b. Ishak al-
Ibadi ,

المنشورة في : " موسوعة الإسلام ، Encyclopédie de
l'Islam

الجزء الثالث ، باريس - ليد ، 1971 ، الصفحتان / 599 a - 600 a .
100 - ارجع إلى د . هـ . سافري ، المرجع المذكور أعلاه في
الحاشية رقم / 89 / ، الصفحتان / 406 - 407 / . ومن هنا ينبع
السؤال المشروع الذي يطرحه المؤلف : " في مثل هذا السياق ، ألا
يمكن أن نعتبر De aeternitate contra Proclum بمثابة الإعلان
عن هوية إيمان " المدرسة " ، وهو الإعلان الذي مكن " مدرسة "
الاسكندرية من أن تحتاز دون أي ضرر القلق الذي عصف بمدرسة
أثينا ؟ " . (ص 407) .

101 - يمضي " سافري " في العبارة الواردة في ص / 408 / إلى
حد التأكيد بأن : " مدرسة الاسكندرية بأكملها ، مع جان فيليبون ،
أصبحت مسيحية " . أما A. CAMERON في دراسته :
" The End of the Ancient Universities "

المنشورة في : " Cahiers d'Histoire Mondiale " العدد / 10 /
(1964) ، الصفحتان / 669 - 670 / ، فيتبنى رأياً مناقضاً . ونجد
في النهاية وجهة نظر مطلقة لدى :

WESTERINK ، " Anonymous Prolegomena " ، p .
XIII .

102 - ارجع إلى أ . هادوت HADOT . I في كتابها :
néoplatonisme alexandrin . " Le problème du
Hiéroclès et Simplicius "

باريس ، 1978 ، الصفحتان / 26 - 27 / ، وهي التي حطمت إلى
غير رجعة الفرضيات القائلة بعودة سمبليكيوس إلى أثينا أو
الاسكندرية . وهي تقترح " إمكانية ثالثة " يمكن أن تكون " مدينة
يونانية في آسيا الصغرى " ، مدينة يفترض أن فيها " مكتبة ذات قيمة

رفيعة " ويمكنها أن تقرب الفلاسفة المنفيين من مسقط رأسهم . وأشير بهذا الصدد إلى أن هذين الشرطين متوفران في "حرّان" ، كما تشهد بذلك ترجمات ثابت بن قرّة ، والثنائية اللغوية لدى أولئك الفلاسفة الذين كانوا ، كما تعترف أ . هادو في الصفحة / 25 / : " يستمدون أصولهم من بلد مجاور لسوريا " . وسوف أذكر أخيراً بأن الطريق الطبيعي ، الأسرع والأوفر أمناً ، للذهاب إلى بلاد فارس انطلاقاً من أثينا كان في تلك الحقبة يتمثل في المرور بحراً إلى سلوقية (Seleucia Piera) إلى الجنوب من خليج اسكندرونة ، ثم التوجه من هناك إلى حرّان مروراً بأنطاكية وبيري (حلب) ، وهيرابوليس (منبج) . ومن حرّان يدخل المسافرون إلى الامبراطورية الساسانية من رسينا Resaina (رأس العين) وسنجانر (بلد سنجانر) . وتقول فرضيتي ، إن الفلاسفة بعد إيابهم استقروا في مدينة كانوا قد عبروا فيها أثناء الذهاب . فالمدينة الوحيدة الممكنة في خط السير ذاك هي حرّان ، إذ فيها تجتمع الشروط الاجتماعية والثقافية المناسبة لعملهم : محيط وثني ، ثقافة يونانية - آرامية ملائمة لنشأتهم ، محيط فكري مؤاتٍ وشعور بالأمان في ظل حماية الجار الإيراني .

Anthologia Palatina , VII 553 - 103 ، وقد نشر P.WALZ هذه المجموعة في

(Anthologie grecque , 1ère Partie , t . 5 coll . des Universités de Trance , Paris 1941 , p . 90 n.3)

ويورد في طبعته رسالة شخصية لـ : R . MOUTERDE ، ينبهه فيها إلى أن النقش وجدوه على بلاطة من حجر البازلت ، في حمص ، وتاريخه يعود إلى شهر . 849 Sél . pérítios المقابل لعام 538 من العهد الديونيزي (وليس 537 ، كما جاء لدى أ . هادو من بعد WALZ) .

Alan CAMERON , " The Last Days of the Academy at Athens " , proceedings of the Cambridge philological Society , t . 195 (1969) , p . 21 - 22 ,

ثم : " نهاية الأكاديمية ، La fin de l'Académie " في : " الأفلاطونية الحديثة ،

(Royaument, 9-13, juin 1969) " Le néoplatonisme " باريس 1971 . ص / 287 / ، وكذلك أ . هادو في العبارة المذكورة في ص / 29 / ، وقد استخلص الاثنان من خبر P . WALZ ما ساعدهما كي يحددا تاريخ تأليف سمبليكيوس لشرح " فيزيقا la Physique " أرسطو . وأبين في هذا المجال أن نقش حمص منشور ، مع وصف للبلاطة وثبت مراجع ، بفضل ل . جابري و L . MOUTERDE في : " نقوش سورية باليونانية واللاتينية ، " Instription grecques et latines de la Syrie الجزء الخامس ، باريس 1959 ، الحاشية رقم 2336 ، ص / 155 / . وحسبما أعلم - فلم يعلق L . ROBERT على هذا النقش في : " النشرة الجغرافية " التي كتبها . والبلاطة محفوظة في بلدية حمص منذ 1925 . أما مصدرها المحدد فمجهول ، ومن هنا استحالة تحديد الشهر الجولياني المطابق للشهر المقدوني Peritios . 104 - PROCOPE , Bella , II 13 , 7 (t . I , p . 210 , 9-12 Haury t . I , p . 374 Dewing) . 105- إن ما كتبه Priscianus Lydus تحت عنوان : " Solutiones eorum de quibus dubitavit Chosroes rex " محفوظ بنصه اللاتيني ، وتم نشره على يد أ . بيوتر I . Bywater في : " Commentaria in Aristotelem graeca, Supplementum aristotelicum , 1/2 , Berlin 1886 . وضع هذه القضية والمراجع لها نجدها لدى ش . ب . شميث Ch.B.SCHMITT في دراسته : " Priscianus lydus " المنشورة في : " Catalogus translationum et commentariorum : Medieval and Renaissance Latin translatios commentaries " edd . F . F . CRANZ et P . O . KRISTELLER

المجلد الثالث ، واشنطن 1976 ، الصفحات / 75 - 85 / . يضاف
إلى مراجع " Catalogus " دراسة م . ت . أليفيري M . Th .
: d'ALIVERNY

" Les " Solutiones ad chosroem " de priscianus lydus
et Jean Scot "،

وهي منشورة في : " Jean Scot Erigène et l'histoire de
la philosophie "

باريس 1977 ، الصفحات / 145 - 160 / ، éd . R. ROQUES ،
وتدرس المؤلف في بحثها ذاك العرف المكتوب بصدد
" solutiones " ، " ولا تدفع بعيدا عن تأثير " Erigène " المسؤول
عن النص اللاتيني .

أما بصدد تاريخ تأليف " Solutienes " ، فتتوه إلى أن Priscien
ربما وضعها " على روية وتمهل من بعد إقامته في بلاد الفرس "
(ص . 146 ، الحاشية 2) : وبخصوص انتقالها إلى العالم اللاتيني ،
تستعين بفرضية وجود محطة للنص الأصلي لدى ' آباء الكنيسة
اليونانية الذين لايزدرون علوم الطبيعة ، مثل باسيل Basile
أو غريغوار دونيس " Grégoire de Nysse " . ومن الصعب
القبول بهذا الأمر لأن Psiscianus لم يكن ، على نقيض ما تظن ،
مسيحي الدين . فربما تم انتقال " Solutiones " إلى العالم اللاتيني
عبر العرب ومترجمي " مدرسة حرّان " . وحسب كل الظواهر
فهناك ، في حرّان وبعد 533 ، كتب Simplicus مؤلفه :
" Commentaire sur le Manuel d'Epictète " . وقد بينت
I.Hadot بصورة قطعية في المرجع السابق ذكره ، الصفحات
/ 33 - 40 / ، أن فرضية Alan Cameron التي تجعل تأليف
التعليق على " Manuel " بتاريخ أسبق من تاريخ الرحيل إلى فارس
هي فرضية لايمكن توفير أي سند لها . وتنتهي شرحها بالكلمات
التالية : " فيما يتعلق بالمكان الذي تم فيه تأليف التعليق ، أجد من
المستحيل كليا عليّ البتّ بأي أمر كان " (ص . 40) . لكن هناك
في رأيي قرينة على ذاك المكان . فالمؤلف سمبليكيوس يخصص
شرحاً مستفيضاً لدحض المذهب المانوي (الفصل 27 ، الصفحات

69 , 82 - 46 - 19 Dünber) ، وهذا الدحض جرى تحليله ومقابلته مع المصادر المانوية بقلم السيدة " هادو " أيضاً :

“ Die Widerlegung des Manichäismus des Simplicios ”, Archiv für Geschichte der Philosophie , 51 , (1969) P. 31 - 57 . وبلاستناد إلى بحوثي الشخصية حول المذهب الذي دحضه سمبليكيوس ، فقد تبين لي أنه لم يكن يوجد في الامبراطورية البيزنطية بعد ذلك التاريخ ، أي بعد 533 ، سوى مدينتين تضمنان بصورة مؤكدة وحصرية أتباع ماني : القسطنطينية وكانوا يتخفون فيها ، وحرّان وكانوا قد استقروا فيها منذ نهاية القرن الثالث ، وهناك استطاعوا بفضل الشروط الاجتماعية - السياسية المحافظة على بقائهم طيلة قرون عدة . وأما الحميّة التي تصدى لهم بها مطران حرّان ، تيودور بن قرّة ، حوالي 764 - 765 ، وفق ما جاء في : “ Chronique du Pseudo - Denys ” المكتشف في تل محرة (الصفحات ، 80 ، 82-1) طبعة Chabot ، فتدلنا أنهم كانوا ممن ما زال لهم وزن في القرن الثامن ضمن اللوحة الدينية الحرّانية . انظر بصدد هذه النقطة ، I . ROCHOW :

“ Zum Fortleben des Manichäismus im Byzantinischen Reich nach Justinian I ” , Byzantinoslavica , 40 (1979) , P. 20 ,

وتوجد هاهنا لائحة مختصرة ببعض المراجع . ارجع أيضاً إلى :

“ Abstracta Iranica ” , 4 (1981) , P. 106 , n° 393 .

ومما لا شك فيه أن سمبليكيوس كان قد سمع ما يقال عن المانوية قبل توجهه إلى حرّان ، إما إبان شبابه في كيليكيا ، وإما خلال سنوات الدراسة ، وإما خلال سنتي النفي في بلاد فارس . ولكن التحليل المستفيض في الفصل 27 من كتابه لا يمكن تفسيره بأنه محض استذكارات هاربة أو أقاويل سمعت منذ أمد بعيد . فالتحليل ما كان يكتب لولا وجود ضرورة ملحة وضغط خارجي . ومن الأمور التي تستحق التذكير دون انقطاع عرض واقع حال المجادلات المناهضة للغنوصية وللمانوية في مدارس الفلسفة الأفلاطونية . أما أفلوطين فيرد على الغنوصيين لأن بعضهم كان يتردد على " مدرسته " . مثلما

كان اسكندر Alexandre، زعيم المدرسة الأفلاطونية في Lycopolis، يدحض المانويين لأنهم كانوا يترددون على محاضراته. فلماذا يتحمس سمبليكيوس لـ لرد، هو أيضاً، على المذهب المانوي لو لم يكن المانويون موجودين حيث كان يعمل في تأليف بحثه، ولو لم يكونوا، بتطفلهم عليه وبأسئلتهم المنغصة، يعكرون صفاء محاكماته العقلية؟ وحران هي المكان الوحيد الذي كان يمكن فيه حدوث الاحتكاك المباشر، من وجهة النظر التاريخية، والسوسيولوجية، واللسانية، والمدرسية، في وقت معاً. وهكذا فإن فرضية السيدة "هادو" القائلة بأن تأليف البحث حول "Enchiridion" تم بعد الرجوع من المنفى يجدها هنا دعماً له.

106 - الفارابي: "في ظهور الفلسفة"، لدى ابن أبي أصيبعة: "كتاب عيون الأنباء"، الجزء الثاني، الصفحات 134، 135-135، Müller (وهو مترجم جزئياً لدى ميرهوف. التعبير وارد في الصفحتين 394 و 405). ويؤكد الفارابي في هذا المقطع أن آخر تلميذين في "مدرسة" أنطاكية: "حملا معهما الكتب" (ص 135 ترجمة مولر)، حين غادرا أنطاكية متوجهين إلى بغداد. ويجدر التمهّل عند هذه الحادثة لكن، ماذا بشأن أثينا حين أغلقت مدرستها عام 529 قسراً بإجراء بوليسي؟ فعندما كانت مراكز النشاط العائدة لـ "هراطقة" تغلق بقرار من السلطة السياسية، كان التشريع البيزنطي ينص على مصادرة الممتلكات، ومن بينها المكتبة. وإن يكن هذا القانون قد طبق في أثينا، كما تشهد كل الظواهر، بعد مرسوم جوستنيان، فمن المستبعد أن يكون الفلاسفة قد تمكنوا من العودة إلى أدوات نشاطهم بعد حرمانهم منها. كما يصعب علينا تصديق إمكانية إعادة تلك الممتلكات، حتى جزئياً، بعد الرجوع من المنفى. انظر، WESTERINK: "Anonymous Prolegomena" الصفحات /XV - XIV/.

107 - بصدد هذا المؤلف، انظر ر. ولزر R. WALZER: "يقظة الفلسفة الإسلامية، L'éveil de la philosophie islamique" في: "مجلة الدراسات الإسلامية، Revue des Etudes Islamiques" العدد 38 (1970)، الصفحتان 33-34.

ولدينا ملاحظات مفيدة حول ترجمات حنين بن اسحق لأرسطو نجدها في كتاب هـ . هـ . شوفلر H.H. SCHÖFFLER.

“ Die Akademie Von Gondischapur , Aristoteles auf dem wege in den Orient ” , Coll. Logoi 5, شتوتغارت و 1979 ، الطبعة الثانية 1980 ، الصفحات / 104 - 92 / 108 - ارجع إلى دراسة هـ . د . سافري بعنوان :

“ Ageöométrétos médeis eisitö . Une inscription légendaire ” وذلك في : “ مجلة الدراسات اليونانية ، ” Revue des Etudes Grecques ” العدد 81 (1968) ، الصفحات 76 - 84 . هذا والإمبراطور جوليان الذي عرّج على حرّان قبيل وفاته بقليل (انظر أعلاه ، الحاشية رقم 4) يشير هو الآخر إلى نقش “ أكاديمية أفلاطون ” وذلك في : “ Discoursà Héracleios ” (انظر سافري ، الصفحات 74 - 76) . ويلاحظ المؤلف ، علاوة على ما سبق ، أن النقوش فوق الأبواب كانت منتشرة في سوريا ويستند إلى ل . روبير L. ROBERT الذي جمع منها نماذج عديدة في “ Hellenica ” ، الجزء / 13 / ، باريس 1965 ، الصفحات 265 - 271 . يمكننا أن نضيف على حد سواء ل . روبير في :

“ Recherches épigraphiques ” IX / 2-3 : “ Inscriptions Chrétiennes sur des linteaux dans l’Emésène ” وهي استشهادات تستعاد في : “ Opera minora selecta ” t.2, Amsterdam وكذلك لدى م . سارتر M. Sartre : ص . 862 - 877 ، 1969 .

“ Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie ” , t.13 / 1 , Paris 1982 , p. 53 - 56 .

ضمن هذه الشروط لاندesh لما يروي المسعوي أنه رآه ، ليس على لوحة فوق الباب وإنما على “ مدقة ” مجمع الصائبة في حرّان ، ذلك المجمع الذي كان ، كما بيّنا ، “ مدرسة ” أفلاطونية ؛ ومن أين لنا أن ندesh وتلك الكتابة كانت عادة سورية ، بل وأفلاطونية أيضاً - فيما كان يُظن - ؟

109 - جمعت كل الشواهد وترجمت بفضل أ . ج . فستيجير
A.J.FFSTUGIERE في دراسته :

“ l'ordre de lecture des dialogues de Platon aux Ve -
Vie siècles ” , “ Museum Helveticum ”

العدد 26 (1969) ، وأعادها في دراسته :

“ Etudes de philosophie grecque ” , Paris 1971 , p.
535 - 550 .

أما ب . بويانسي P. BOYANCE في دراسته :

“ Cicéron et le Premier Alcibiade ” المنشورة في مجلة

“ الدراسات اللاتينية Revue des Etudes latines ” العدد

41 (1963) ، ص . 227 فيعطي الأولوية لكتاب أفلاطون :

“ السيبياذ ” ، وهذا ما يمكن إرجاعه لأنطيوخوس العسقلاني

Antiochus d'Ascalon . وبيان يوافقه الرأي في كتابه :

“ أفكار يونانية Idées Grecques ” ، ص . 116 - الحاشية (1) .

110 - OLYMPIODORE , In Alibiadem , p. 10 (= 11 ,

3 - 6) Westerink

111 - ابن النديم : “ كتاب الفهرست ” ص . 383 , 7 - 8 لدى

“ تجدد Tajaddad ” وبخصوص الترجمة ، انظر على حد سواء ،

ر . تجدد R.TAJADDOD ، الطبعة الثانية ، طهران ، 1346

هـ . / 1968 م . ص . 564 ، 11 - 12 .

112 - CHWOLSOHN I , livre 11 , ch . 2, p . 717 - 112

-724

W. SCOTT , Hermetica , t . 4 , Oxford 1936 , - 113

p. 248 .

114 - H JÄRPE , p . 136 - 137 et p . 156 .

115 - ارجع إلى ج . أندرس G . ENDRESS في كتابه :

“ Proclus Arabus ” ، بيروت 1973 ، ص . 330 (rom .)

و ص .

64 (ar.) . بخصوص المذهب ، انظر هـ . د . سافري (و) ل .

ج . ويسترنك

- ، الجزء الثاني ، " Proclus , Théologie platonicienne " ،
باريس 1974 ، ص. 76 . بخصوص . Th . pl . I ، II ،
الصفحات 3,7-8 ؛ انظر أيضاً 1 III الصفحات 5 ، 17 - 18 .
وحول صدى بداية الكتاب الثاني II لدى الكندي ، انظر J . J
OLIVET ، " حول ملف بروكلس العربي : الكندي واللاهوت
الأفلاطوني ، al- Pour le dossier de Proclus arabe :
" kindi et la Théologie platonicienne " ، وذلك في مجلة
" دراسات إسلامية ، Studia Islamica " ،
العدد 49 (1979) ، الصفحات 55 - 75 .
116 - pour (ar) ، p . 76 - 77 (rom) ، 343 .
ENDRESS , p
ma'lul , ID., p.330 (rom) etp.65(ar) ; voir
égalementy jolivet , locc it .p.70-71.
ENDRESS , P . 340 (rom) , p. 19,88 (ar) , - 117
qui renvoie à PROCLUS, El . th. § 21, P. 24,3,15,
Dodds .
118 - بروكلس في كتابه : " Elementa theologiae " ، ص .
46 ، 26 Dodds مع حاشية رقم 226 مسندة إلى أفلاطون : " فيدر "
8c, 245 .
PROCLUS ,Theol . plat ., III 6 , p . 20 , 18 - 119
Saffrey Westerink
120 - مراجع النص والترجمات أشير إليها أعلاه في الحاشية رقم
48 . وقد درس ج . هيارب بعض جوانب هذه الممارسات في بحثه:
" The holy year of the Harranians . Some remarks on
the festival calendar of the Harranian Sabians " ،
وهو البحث المنشور في مجلة :
"Orientalia Succana"، 23 - 24 (1974 - 1975) , paru
1976 , p. 68 - 83
121 - (20 , 1 - 69 , 45 - p) ، 1,3 Codex x بصدد هذا
النص ، انظر دراسة م . بيزان M . PEZIN :

“ les codices 1X ” , 1-2 , XX11 , EPHE - 5° Section ,
Paris 1980 , p. 203 - 262 , 454 - 478 .

122 - أفلاطون ، السيبياذ (10 - 9 D 135)

123 - “ Alc . 130 D 4 n ” حول هذه الصيغة ، انظر بيبان :

“ Idées Grecques ” ، ص . 111 والحاشية 2 .

124 - حول صفات ووظائف هذه الذات ، انظر
: M . SCOPELLO

“ Youel et Barbelo dans le traité de l’Allogène ” ,
Colloque International sur les textes de Nag Hammadi
, éd. B. BARC , Québec 1981 , p . 374 - 382 .

Allogène 50 , 18 - 20 , 25 - 31 ; 69 , 15 - 19 -125

والطريقة التي كتب بها الاسم في المخطوط كانت من وراء تحليل
الدرس الذي قبل به ناشرو بورفير : p , 16 § , “ Vita Plotini ”
Henry - Schwyzer 7 , 21 .
ارجع أيضا إلى :

“ Plotin et les Gnostiques ” , Les sources de Plotin ,
Entretiens sur l’Antiquité Classique , t . 5 ,
vandoeuvres - genève 1960 , p . 165 .

Allogène 45 , 1-52 , 15 -126

Allogène 52 , 15 - 55 , 17 -127

Allogène 56 , 21 - 23 = 58 , 7-8 - 128

129 - “ Eugnoste ” § 29 ، مترجم ومشروح في SGM ، العدد
الأول ، الصفحتان 197 و 391 .

130 - “ Allogène ” ، ص 56 / ، 14 - 21 / . وإن

كليمون الاسكندراني CLEMENT D’ALEXANDRIE في :

“ Eclogae propheticae ” , 17 , 1 (GCS 17 , p. 141 ,
19-21 Stählin) ,

أجاب على مثل هذه الفكرة عندما كتب : لم يخلقنا الله بوجود سابق .
إذ لو كان لنا وجود سابق لكان من اللازم معرفة أين كنا سابقا ، ثم

لماذا وكيف جئنا إلى هذه الدنيا . أما عندما لا يكون لنا من وجود سابق ، فالله هو علة الخلق الوحيدة " .

IRÉNÉ, Adversus , I 21,5 = ÉPIPHANE, - 131
Panarion XXXVI 3,2 . haereses

132 - " مكتبة نجع حمّادي بالانكليزية ، The Nag Hammadi Library in English ، وقام بالترجمة أعضاء في :
"Coptic gnostic library project" ،

سان فرنسيسكو 1977 ، ص . 448 . أمام . بيزان ، المرجع المذكور ، ص . 465 فقد تبني إعادة الصياغة كما هي مفترضة في الترجمة الأميركية .

133 - Anonyme de Bruce, P.261,23-262,4 Schmidt = pl.58, 32-59, 12 Baynes .

134 - p.262 ,5 Schmidt = pl . 59 , 13 Baynes

135 - p.262,2 - 4 Schmidt = pl . 59 , 7-11 Baynes .

136 - Codex X11, p. 34 ,22 - 24 , édité par P.H.

POIRIER , BCNH II , Québec 1983 , p.46.

137 - هـ . شادفيك H. CHADWICK ، في كتاب :

" of Sextus The Sentences " ، كامبردج 1959 ، ص .

56 . أما الشرح الذي عرضه ب . هـ . بواربيه في الصفحة 81 من المصدر المذكور سابقاً تعليقا على هذه الحكمة فهو أمر لا قيمة له على الإطلاق .

138 - بصدد النص اللاتيني ، انظر شدفيك ، المصدر السابق ،

ص . 47 . وبصدد النص السرياني ، انظر ب . دولا غارد P. DE

LAGARDE في كتاب : " Analecta Syriaca " ، ليبزغ

1858 ، ص . 27 ، 21-22 .

139 - المثني المحايد (ti) بيّنة لدى Rufin

(quid sit ---- quid inte) . وقد تجلت " نصرنة " هذا القول

بالغاء سؤال البداية وبعطف طرفي العبارة بفعل إضافي

(Vat.gr. 742) ، أو بأداة (lat .) أو بفعل وأداة (copt.syr .) .

ولإجراء القياس على وجه الصواب ، تضيف السريانية واللاتينية في

النهاية اسم " الله " - ومن هذه الصياغة " المنصرنة " للعقيدة الواردة في " السيبيناد " والمنتقلة إلى : " Sentences de Sextus " ، خصوصاً إلى الحكم : 394 ، 446 ، 577 ، نجم حسب رأيي القول الصوفي المأثور : " من عرف نفسه عرف مولاه " ، والشاهد الفلسفي عليه هو الغزالي في : " مشكاة الأنوار " ، ص . 71 ، 12 - 13 ، طباعة أبو العلا عفيفي (القاهرة ، 1964) . وهناك شواهد أخرى غير فلسفية ، انظر ف . روزنتال ، المصدر السابق ذكره (أعلاه حاشية 49) ص . 410 . وأما عبارة : " رأيت أخاك ، فرأيت ربك " التي يوردها ببيان في : " Idées Grecques " ص . 192 ، حاشية 3 ، فيجب أن نضعها على التوازي مع الحكمة الصوفية والقول 446 لدى Sextus . وتعني كلمة " أخ " في هذا السياق الأنا الحق ، النسخة الثانية أو توأم النفس الحساسة ، لكن تأويل كليمن ، الذي عاد إليه ببيان ، تأويل حرفي بسبب إهمال الجذر السامي .

140 - 59 ، 9 - 26 ؛ 60 ، 17 ، 20 ، 31 ، A llogène ،

والمجموعة معكوسة لدى MARIUS VICTORINUS ، "Adversus Arium" ، Henry I I . 50.I (SC 68, p. 344) - Hadot : والتعليق في (SC69,p.852) ارجع إلى ميشيل تارديو : " Les trois stèles de Seth " ، في :

Revue des sciences Philosophiques et Théologiques العدد 57 (1973) ، الصفحتان 562 - 563 ، وإلى الدراسة المعنونة :

"La gnose valentinienne et les Oracles chaldaïques" في مجموعة :

" The Rediscovery of Gnosticism " éd .B .LAYTON I , leyde 1980 , p . 215 - 216 .

بخصوص اعتبار الغبطة من الصفات ، انظر : (SGMI, p.89,252) و A Jn أما تمثل العقل والغبطة فنجد في : 18 - 17 ، 58 . All .

141 - 8 - 5 ، 61 ، Allogène ، selon la traduction de M . - 141 cit . p. 249 PEZIN, op.

All.61 , 12 - 13 (ainau erof) ; 58 , 12 , cf , -142

II 9 , 15 , 33 PLOTIN

All - 143 الجزء 61 ، ص . / 17 - 19 . حول الأساس

الميتافيزيقي للإثبات والنفي ، انظر مجلة : (SGM) I ، ص .

/ 253 - 248 .

PROCLUS , De providentia , 35 , (p. 144) - 144

16 - 17 Boese

145 - انظر ل . ج . ويسترنك في بحثه :

" Notes on the Tria opuscula of Proclus " المنشور في :

" Mnemosyne " ، المجموعة الرابعة ، الجزء 15 ، 1962 ،

الصفحتان / 163 - 164 / . أماد . اسحق D. ISAAC ، لدى

نشره للدراسة المعنية في : " Proclus, Trois études sur la

" providence " ، ضمن منتخبات جامعات فرنسا ، الجزء الثاني ،

باريس 1979 ، ص . / 58 / فيحتفظ بلاتينية ج . موريبيك

G. de Moerbeke ، ولكنه يترجم الدرس الذي نوّه إليه ويسترنك !!

وذلك المبدأ لا يحيلنا ، حسب رأيي ، إلى فعلين متلاحقين : النظر إلى

النفس (ومن ثم) ، إما (من أجل) وإما (قبل) الدخول ؛ وإنما

يتضمن فعلاً مفرداً قوامه أن يرى المرء نفسه على أنه إله ، ومن

هنا تكون لدينا المعادلة : معرفة المرء لنفسه = الخشية .

PLOTIN, Enneades, II 9, 15 (edd . Henry - 146

Schwyzzer , t . I , Paris - Bruxelles , p . 245 - 247) .

II , 9 , 15 : 39 - 40 - 147

II , 9 , 15 : 10 - 148

II , 9 , 15 : 22 - 23 , 24 - 149

II , 9 , 15 : 12 - 17 - 150

151 - ومن هنا يستنتج أفلوطين : ليس لدى الغنوصيين رسالة في

الأخلاق ، ولا يقيمون وزناً للرسائل " العديدة والجميلة " التي دونّها

الأقدمون . (II, 9, 15: 28, 31) ، أما قوله المبهم " الأقدمون " فإنما

يعني بصيغة الجمع تلك : " السيبياذ " .

152 - انظر خصوصاً التعبير اليوناني :

" σωφροσύν'νῃ ἐστὶ τ'ο ἐσντ'ον γλῆ νω'σκειν " في
(Alc . 131 B) وهو يلخص الخطوط العريضة للتطور الحاصل
من 106 B إلى 127 C . وانظر بيان في : " Idées Grecques "
ص 95-101 / فهو يبين بقوة تأثير تلك المحاورة على أفلوطين في
(II , 9 , 15) التي يجب أن تضاف كفقرة لا غنى عنها ضمن
الملف الذي جمعه حول هذه النقطة .

Sentences de Sextus (codex XII , voir : -153
supra . 136)

Enseignements de Silvain (codex VII ; BCNH 13 ,
1983) ;

fragment de la République 588 B - 589 B (codex VI)
, édité par L . PAINCHAUD , B CNH II . Québec
1983 , p . 126 -133 .

Silvanos 92 , 25 -27 (pnous men ntheios - 154
ountaf mmau nou ousia chol hm ptheion)

وهذه الصيغة جواب على 92 , 11-14 ، ومن هنا القول :

" aripoliteue Kata pnous " ، (93 ، 3 - 4) . أما ي .

زاندي J. Zandee ، الذي يقدم دورياً قراءات جديدة للأدب العالمي
استناداً إلى : " Enseignements de Silvain " فلم يتوصل

بعد إلى اكتشاف التقارب بين هذا النص وبين " السيبياذ "

155 - . 29-26 , 93 et surtout 92-33 , 91 Silvanos

156 - . 25. jusqu' à la ligne (tpaidia mn tesbo) 87,5

157 - 10 6 , 108 ; 19-17 , 107 ; 19-12 ; 29-27 , 87

158 - التقارب بين طروحات " السيبياذ " وبين المثل الأخلاقي

المقدم في " الجمهورية " لاحظته ببيان في : " Idées Grecques "
ص 79 .

159 - الكلب الأسطوري Cerbère (= الكيان المادي ، الجسد) ،

والأسد (الكيان النفساني : النفس) . والإنسان (= الكيان الفكري

= العقل) . وحول موضوعه أجناس الحياة الموافقة لأجزاء الروح

الثلاثة ، انظر روزنتال ، الاستشهاد المذكور (أعلاه ، الحاشية 49) ،

- ص . / 417 - 418 / و م . أركون M. ARKOUN ، " مسكويه ، رسالة في الأخلاق " دمشق 1969 ، ص 83 - 86 حيث يرد ذكر أمثال أخرى مبنية وضوحاً على " الجمهورية " 588 B و 589 B .
- 160 - ل . بانشو ، المصدر السابق ذكره ، ص . 117 وهو محق في قوله إن ذلك ، المقطع من " الجمهورية " انتقل إلى " Codex VI عن الطريق نفسه بالإضافة إلى الكتابات الباطنية الملحقة به " .
- زيادة في الدقة ، قد يكون من واجبنا أن نبين أنه أخذ من كتابات غنوصية مجموعة لتكون في تداول عامة الجمهور ، وحيث كانت توجد مقطوعات باطنية حقة ، لكن المجموعة بأكملها لا يمكن وصفها بأنها " باطنية " (على عكس ما يظن بانشو الذي سار على خطا العديد من الآخرين) ولم يكن أحد يفهمها على تلك الصفة . وأما " codex VI الذي صنف على أنه " مجموعة نصوص باطنية " فلم يوجد قط إلا في خيال متحذلق الغنوصية المعاصرة . - أما قيمة مجموعات حكمة الأقدمين تلك فقام بدراستها . A . ARBERRY .
- J. في بحثه المعنون : "Some Plato in an Arabic Epitome: " ، في مجلة : " Islamic Quarterly " العدد 2 (1953) ، ص/86-99 ؛ وبمنهجية أكبر D.Gutas ، في كتابه : "Greek Wisdom literature in Arabic Translation" , American Oriental Society 60 , New Haven 1975 , en particulier p. 9 - 35 et p. 116 - 157 avec commentaire p. 332 - 380.
- 161 - 22 - 14 , p. 235 , 1-2 , Elenchos VIII 15 , Wendland
- 162 - أي رسم حرف (ي) الذي هو ضمن منظومة منعم الرمزية الصورة المثلى للوحدة والامتلاء .
- 163 - Voir PEPIN, Platon , Alc ., 104 E et 106 E ; Idées Grecques, p. 73
- 164 - Alc . 132 D - E .
- 165 - Alc . 133 A - C
- 166 - SGM I, p. 47 - 67 .

- Eugnoste § 8 (III 75 , 3- 5) -167
- Alc . 133 A 2 ; cf . PEPIN , Idées Grecques , p -168
. 192 - 193 , et en particulier p. 193 n .3
- P. HADOT , Marius Victorinus , Traités -169
théologiques sur la Trinité, t. 2, SC 69 , Paris , 1960 ,
p. 847 ; pour la théologie affirmative , ID . , Porphyre
et Victorinus, t . I , Paris 1968 , p.283
- Voir SGM I , p.248- 251, 353 -355 -170
- SGM I , p. 305 - 306. -171
- SGM I , p. 313 - 315 -172
- SGM I , p. 39 -40 et 300 -308 . -173
- PLUTARQUE , Adversus Colotem , 14 , 1115 -174
- A = J.BIDEZ et Fr .CUMON,les mages hellénisés ,t .
2 , Paris 1938 fr . B 12 a , p. 25 = fr . 68 wehrli
- 175 انظر SGM ، الجزء الأول ، ص . / 299 - 300 / و ص .
479 (s.v.) ؛
- ارجع إلى كتاب : " Trois mythes gnostiques " ، باريس
1974 ، ص . 90 .
- 176 انظر بورفيرفي : " Vita Plotini " ، 16 (p.21,6-7)
Henry Schwyzer ارجع إلى هـ . ش . بويش .H.Ch.
PUECH في : "Plotin et les Gnostiques" ص . / 169 -
165 / وهو يستند فيه على كتاباته السابقة .
- 177 انظر على سبيل المثال النص اليوناني لدى
P. Mimaut Louvre
- K . PREISENDANZ = 2391 ، في :
- " Papyri Graecae Magicae " الجزء الأول ، شتوتغارت
1973 ، ص . / 58 / ، III ، / 601 - 600 / :
- " نغبط لأنك ، ونحن في الحالة الجسمانية ، جعلتنا آلهة بمعرفتك " ،
وقد انتقلت هذه العبارة إلى القبطية في : " codex VI " ، 64 ،
17 - 19 ، وإلى اللاتينية في صلاة الختام في : " Asclépius " ،

41 (ص . 355 - 1-3 Nock - Festugière) . أما J.P. MAHÉ في : " BCNH " العدد الثالث ، كويك 1978 ، ص 162-163 / فيورد النص مجدداً في عرض إجمالي دون أي تعليق على العبارة . ومعرفة النفس باعتبارها معرفة لله أمر يجري تأكيده في الصيغة المحايدة التي نقلت في : " Elenchos " 6 ، 6 V (ص . 78 ، 14 - 15 Wendland) ؛ وفي موضع ثان : 16V ، I (ص 111 ، 9-11 Wendland) فمعرفة المرء أنه خاضع للصيرورة معرفة لوسيلة التملص منها . والصياغة اللاتينية في Asclépius هي :

(gaudemus quod nos in corporibus sitos aeternitati fueris consecrare dignatus)
وفيها ما يذكر بصياغة " Poimandres " ، 18 (ص . 13 ، 9-10 Nock - Festugière) .

حول تعريف الإنسان حسب الـ " السيبياذ " عبر الأدب الباطني ، انظر في جميع الأحوال ببيان في : " Idées Grecques " ، ص . 133 - 134 ، الحاشية رقم 3.

ZOSIME , Le premier livre sur le compte final , -178
OLYMPIODORE, Eis tò kat ' cité par Ps -
enérgeian Zosimou , 26 , edd . Berthelot - Ruelle ,
Collection des Anciens Alchimistes Grecs , texte
grec , Paris 1888 , p.84 , 9 -10 :
ὅταν δ' εἰς ἐπὶ νῶς πάντ' ἦν. τότε ἐπὶ νῶ
ση καὶ τὸν μόνον ὄντως θεόν.

ZOSIME , Le premier livre sur le compte final -179
, 8 , CAAG , texte grec , p. 244 , 18 - 23.

180- المصدر السابق ، ص . 244 ، 21 - 22 ؛ ارجع إلى أفلاطون : 41 B , 41 " Timée "

181- انظر (SGM) I ، ص . 488 - 490 (الأرقام) .

182- القرآن ، 2 ، 62 (.. الذين هادوا والنصارى والصابئين ..) ؛
69 , 5

- (.. والذين هادوا والصابئون والنصارى ...) ؛ 22, 17 (.. والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس ... = [الزرداشتيون] ؛ ولكن الآية (17) هذه من سورة الحج (22) ، تضيف أيضاً : والذين أشركوا ، أي أصحاب العبادة المحلية في الجزيرة العربية) .
- 183- القرآن ، 22 ، 17 (السورة 22 ، الآية 17) .
- 184- القرآن ، 2 ، 62 .
- 185- القرآن ، 5 ، 68 .
- 186- هذه الاشتقاقات لخصها هيارب ، ص . 25 - 28 .
- 187- هيارب في الصفحة / 29 / يقترح أن كلمة " صابئين " مشتقة نسبة إلى نصيبين (Suba > Subaya) ولكنه يعترف هو نفسه بأن اشتقاقه ذاك " ضعيف القيمة " .
- 188- Ed . Pocock , Specimen historiae Arabum , - p.142 - 143 ; cité par CHWOLSOHN, I Oxford 1649 , p. 31.
- 189- ارجع إلى CHWOLSOHN I ، ص . 34 - 35 (Golius) ؛ ص . 43 - 44 (Hyde) ؛ ص . 74 (Wahl) ؛ ص . 85 - 86 (Sommer) .
- 190- EPIPHANE, Panarion, XXVI 3,7
GCS 25 , p.279 , 24 Holl);
traduction et commentaire dans Tel Quel , n° 88
, 1981 , - p. 83 84 , cf . Filastre LVII , 1 , 2 ; milites
191- مثلما فهمها حرفياً ك . رودولف K. RUDOLPH
"Soldatische Die Gnosis. Wesen und Geschichte
kriegerische" ,
einer spätantike Religion , Leipzig 1977 , p. 254.
- 192- من الواضح للعيان أن نرى كيف جرى تفتيت العرض المتصل للإلهي في :
" Eugnoste " كي يصبح متقطعاً في : " Sagesse de Jésus "
حتى ، ضمناً ، إعطاء شكل مادي للتعالي . انظر I , SGM ، ص . 392 - 393 .

- 193- بصدد الموضوعة الأولى ، انظر م . تارديو :
 “ Prurit d’ écrire et haine sociale chez les Gnostiques “ dans :
 “ Pour Léon Poliakov, racisme , mythes et sciences”
 ,éd M . OLENDER , Bruxelles 1981 , p . 176 ;
 أما بصدد الموضوعة الثانية وطبيعة المستند الميتافيزيقي ، انظر :
 “ La gnose valentinienne et les Oracles chaldaïques
 “ (supra. n . 140) , p. 209 - 220 .
 وبصدد الموضوعة الثالثة :
 A Jn 6, commenté dans SGM, I , p. 247 - 248 .
 E PIPHANE , Pan ., XXIX , 77 . (GCS 25 , - 194
 p.330 , 194 - 4 - 7 Holl) ; XL , I , 5 (GCS 31, p. 81
 , 15 - 18) .
 Ibid. XL . tit . (GCS 31 , p. 80 , 24) ;
 : H . Ch . PUECH , - 195
 “ Archontiker, Reallexikon für Antike und
 Chistentum” , t . I , Stuttgart 1950 , col . 633 - 643
 196- انظر م . تارديو في مجلة Tel Quel ، العدد 88 ، 1981 ،
 ص . 90 (التعليق على XXVI , 19 , 1 - 6) .
 197- أبرزت بكل وضوح القرابة بين : “ Sumphonia “ الوارد
 ذكرها لدى إيفان ، وبين الرسالة الخامسة في : “ codex II “
 ضمن : “ Trois mythes “ gnostiques ، باريس 1974 ، ص .
 / 36-35 / . وحسبما هو وارد لدى إيفان فإن الـ
 “ Archontiques “ يستخدمون كتباً يقال لها :
 “ Allogeneis “ (XL , 2 , 2) ، واسم الجمع هذا يطلق دون
 تحديد ويرجح أنه إنما يشير إلى النص الوحيد المعروف في أيامنا ،
 كما هو في الترجمة القبطية لـ “ codex XI “ ؛ وقوام إحدى مقولاته
 الأساسية هو على وجه التحديد أنها تبين بأن كثرة الوسطاء (جيوش
 وقادة) تهدف إلى تأكيد التعالي .
 198- EPIPHANE , Pan . , XL , I , 8 (p.81 , 25 - 26)

199- المصدر السابق نفسه ، I , XL ، 5 (ص . 81 ، 16) .
حول شبه الجزيرة العربية تحت الحكم الروماني ، انظر
M. SARTRE في بحثه :

“ La frontière méridionale de l’Arabie romaine ”
ضمن نشاط الندوة المقامة حول موضوع : “ الجغرافيا الإدارية
والسياسية من الاسكندر حتى محمد ”

La géographie administrative et politique d’Alexandre
à Mahomet 14 - 16 يونيو / حزيران 1979 ،
جامعة العلوم الإنسانية في ستراسبورغ ، أعمال مركز البحث حول
الشرق الأدنى واليونان قديماً ، الجزء السادس ، ليد Leyde ، 1981 ،
ص . 77 - 92 ؛ وكذلك (I D) ؛

“ Trois études sur l’Arabie romaine et byzantine ” ،
coll . Latomus , t . 78 Bruxelles 1982 , p. 17 - 75
Ibid , XL , I , 1 - 8 (p. 80 , 25 - 82 , 7) . - 200

الفهرس

5	تقديم
7	تفحص البحوث المعاصرة وتصوييات جان هيارب
15	المسعودي الشاهد المباشر الوحيد على الموقف التاريخي للمذهب الصابئي الحرائي
29	المصادر التاريخية السابقة للنقوش التي نقلها المسعودي واستبعاد الخلط مع المذهب الصابئي الحرائي
39	التعرف النوعي والدقيق على صابئة القرآن
45	مختصر مفيد
47	الهوامش

حرّان مدينة في منطقة الجزيرة في سورية، دخلت التاريخ منذ تأسيس مملكة ميتاني وخرجت منه بعد ٣٢ قرناً من الزمان حين سوى بها المغول الأرض. فيها كان مقر معبد الإله البابلي (سين) القمر. وفي هذا المعبد أدى جوليان امبراطور روما صلواته الأخيرة قبل أن يسقط في حربه مع سابور الثاني ملك فارس.

تناولها المؤرخون العرب قديماً وجاء المستشرقون حديثاً ليولونها عناية خاصة. مع ذلك ظلت هي وعقائدها غامضة إلى أن جاءت الدراسات المعاصرة التي استطاعت إزالة هذا الغموض وبخاصة الإشكال الناجم عن وجود لغز آخر وراء لغز صابئة حرّان ألا وهو صابئة القرآن. وكانت دراسة جان هيارب منذ ١٥ عاماً واحدة من تلك الدراسات التي ساعدها اكتشاف مخطوطات نجع حمادي وتوضيح مسألة الغنوصية ثم ظهور بحوث كثيرة عن الإفلاطونية المتأخرة وتاريخ تأثيراتها.

ويركز هذا البحث على تصويبات دراسة جان هيارب وتحليل ما نقله المؤرخ العربي (المسعودي) الشاهد الوحيد على تحديد الموقف التاريخي للمذهب الصابئي الحرّاني ثم يبين المصادر التاريخية السابقة للنقش الذي تحدث عنه المسعودي. وينتهي أخيراً بالتعرف الدقيق على صابئة القرآن.

ونأمل من تقديم هذا البحث للقراء أن يكون مساهمة تفيد العامة وبخاصة طلاب الدراسات التاريخية والمهتمين بها.

الناشر

دار الحكمة

سورية - دمشق - بزمكة - ص.ب. ٢٢٢٩

دار الحصاد

سورية - دمشق

ص.ب. ٤٤٩٠ - هـ/ها: ٢٢٦٣٢٦